روايات عبير

مارجري هيلتون

عذراء في المدينة

١١

روايات عبير

عذراء في المدينة

ميراندا وردة ريفية بيضاء ، جاءت الى لندن لتعمل في شركة مديرها العام جايسون معروف بمغامراته العاطفية . الجميع يخافون جايسون وهو دائما على سفر ، لكن الظروف تشاء ان يلتقيا ، هي العذراء البريئة برأسها المليء باخلاقيات وتقاليد تعتبرها المدينة الكبيرة بالية . وهو بسطوته وخبرته في المجال العاطفي .. وتلتمع بينهما تلك الشرارة الغامضة التي لا يستطيع مخلوق أن ينكر سلطتها على القلوب . لكن جايسون لا يبوح بحبه ، وحتى بعد الزواج تبقى اشباح الماضي مخيمة على حياتهما . فهل تزوج جايسون لأنه سئم مطاردة النساء ، ام تراه حافظ على علاقة مشبوهة في الظل ؟

حادث قنبلة في الطائرة العائدة به من إحدى رحلاته يكشف لميراندا كل الحقيقة .

١ - من ينام في المكتب ؟

للمرة الثانية خلال عشرين دقيقة، أغلق باب المنزل رقم ٣ في "بايرن سكوير" بعنف كدر سلم الميدان الذي تحف به الأشجار.

ارتعد الباب في اطاره، وتوقفت قطة رمادية مخططة عن لعق وجهها، لتنظر فيما يشبه اللوم الى الرجل الطويل المضطرب الذي ينزل الدرجات الست المؤدية الى الرصيف. ثم ما لبثت أن استأنفت تنظيف فرائها الناعم لكن ما أن انقضت ثوان أخرى، حتى دوى صوت اصطفاق ثالث معدني هذه المرة. اذ ركب الرجل السيارة المرسيدس الحمراء التي كانت تقف قرب الحاجز الحجري للطريق وأغلق بابها بعنف ثم أنطلق بها بسرعة مزعجة.

انغمس جاسون ستيل في طوفان المرور المتدفق مقتنعا في قرارة نفسه بأن لديه كل المبررات ليفقد أعصابه. فقد جعلوه يبدو مغفلا طوال الوقت. نعم، بدد وقته، وفقد البقية القليلة الباقية من ايمانه بالطبيعة الانسانية. كان أعمى مسلوب العقل أحمق لينفق كل هذا المال على تلك المرأة... يا للنساء، وقلوبهن الفولاذية وعقولهن الصغيرة التي تختفي وراء وجوه بريئة وأجسام مستسلمة، كالحيات السامة. لن يتكرر ذلك. قال هذا من قبل لكنه هذه المرة يعني حقا ما يقول. استغفلته المرأة مرتين في حياته، لكن كان هذه

المرة اكثر حرصاً.
وأوقفته اشارات المرور ثلاث مرات فزمجر صائحاً في المرة الثالثة: يا الهي!
انه يريد صحبة الرجال الطيبة، فمع الرجل تعرف على الأقل أين أنت وتستطيع أن ترد الهجوم بمثله. وتقلصت أصابعه على عجلة القيادة. كان في أمكانه ان يتهور ويخنق "مايك فريزر" الرجل التالي له في العمل والذي كان يثق فيه... غير انه كان طوال هذا الوقت هو وكاترينا...
وبعد أن رشف قدحين من الشراب شعر جاسون انه أكثر هدوءاً لكن مزاجه لم يزل معتلاً. فخرج وحدق في السماء المليئة بالسحب ثم نظر في ساعته فوجد أنها تجاوزت الثامنة مساء بقليل، وقرر فجأة أن يذهب الى مكتبه ليأخذ مذكراته عن الاتفاقية الاضافية مع شركة سترانجكو. لقد فسدت أمسيته في أية حال، وأصدقاؤه غير موجودين الليلة وفقد شهيته، فضلا عن انه مكبل بأعمال كثيرة متأخرة، اذ أضاع وقته في الأسابيع القليلة الماضية على تلك المرأة وتراخى في عمله.

كان المقر الرئيسي لشركة كارونا ستيل يشغل برجاً من الأسمنت والزجاج ارتفاعه ٤٤ دورا ويطل على التيمز قرب محطة بلاك فرايارز. وكان مكتب الاستقبال فيه ما يزال مضاء بنور خافت. ولمح في جزء مرتفع من المبنى ضوءاً دل على أنه ليس خالياً تماماً، كما اعتقد جاسون وهو يوقف سيارته.
صعد الى الطابق الواحد والعشرين وسار الى مكتبه على سجاد سميك يمتص صوت وقع الأقدام مهما علا، لكنه توقف بغتة. فقد أدرك بغريزته أن هناك شيئا ما غير طبيعي، وأن الضوء الذي لمحه من الخارج كان منبثقا من مكتبه. عبس وجهه واكفهر. فقد ترك مكتبه منذ ما يزيد على ساعتين وهو بالتأكيد لم يترك النور مضاء. سار وهو حريص ألا يحدث صوتا وتوقف قليلا أمام الباب ليندفع اليه فينفتح له. بدا المكتب خاليا للوهلة الأولى، لكن النظرة المدققة أوضحت

انه لم يكن كذلك. فقد رأى قمة رأس تظهر من ظهر الكرسي الضخم الذي يواجه الباب. فتقدم ليضغط على جرس الانذار مزمجرا:
"أخرج"...
لكن الكلام تجمد على شفتيه عندما التفتت اليه فتاة عيناها مملؤتان رعبا ويداها الصغيرتان تتشبثان بعنف بظهر المقعد، وفمها يستدير في تعبير عن الفزع والاضطراب، وحاولت أن تقول شيئا لكن الاضطراب غلبها. واستعاد جاسون رباطة جأشه ووصل الى الكرسي في ثلاث خطوات مسرعة. وانكمشت الفتاة من منظر الغضب البادي على سحنته محاولة الافلات من نظرته. كانت نصف جاثية على ركبتها في الكرسي فأمسك بذراعها ورفعها بعنف وصاح:
"أي شيطان أنت؟ أي جحيم أتى بك"؟
ولم تحر جوابا فقد بدت وكأنما الصدمة جمدتها، أخذ يهزها بقوة آلمتها فقالت:
"أنا... أنا... الا تعرفني ياسيد ستيل؟ أنا أعمل هنا".
"كلا أنت لا تعملين هنا. هناك نحو خمسمائة موظف في هذا القسم، وربما أكثر، ولم يتح لي وقت للتعرف اليهم جميعا".
مرت بيدها على العلامات التي غرستها أصابعه في جلدها الرقيق وقالت:
"أنا أعرف ذلك. أنا آسفة ان أفزعتك ياسيد ستيل".
رأى تقلص حلقها وهي تزدرد لعابها لكن نظرته لم تلن وقال لها:
"حسناً، اني أنتظر تفسيرك يا آنسة... أيا كان اسمك"
خامرته بشأنها عدة ظنون لم يكن أي منها سارا، وأضاف بعبوس ونفاد صبر:
"فسري الأمر، أم هل تودين انتظار الشرطة؟ أجيبي من أنت"؟
ففزعت من ذكر الشرطة وقالت لاهفة:

"لا٠ أن اسمي ميك٠٠٠ ميراندا روزميك"٠

"أنا في انتظار تفسيرك يا آنسة "ميك"٠

"من الصعب تفسير الامر"٠

"ذلك ما يقال عادة"٠

"أعرف٠ ان كل هذا لابد أن يبدو شنيعا، ولابد أنك اعتقدت"٠٠٠

وفجأة وقع نظرها على حقيبتها المفتوحة التي تبدو منها ملابسها الداخلية فانحنت بانفعال شديد وأغلقتها ثم أضافت:

"أنا آسفة للغاية لأنك صدمت عندما دخلت ووجدت كل هذا"٠٠٠

وبدا أنها تجد صعوبة في الاستمرار فتوقفت وتحولت عن نظراته التي تحمل معنى الاتهام٠ وقال جاسون بقوة:

"الدموع لن تؤثر في٠ أصغي الي، فأنا أنوي الحصول على تفسير لهذا الاقتحام قبل أن أفصلك بنفسي وألقي بك خارج المبنى مع كل الزبالة التي حملتها معك"٠

"أنا آسفة ياسيد ستيل انه خطأ لا يغتفر٠ أنا أعرف ذلك٠ لكني لو استطعت فقط أن أجعلك تفهم، لكن"٠٠٠

وهزت رأسها وبدأت في جمع السندويشات والشوكولاتة وألقت بها جميعا في الحقيبة ونظرت الى علبة الحليب والتقطتها ثم أعادتها الى مكانها في يأس، وكررت:

"أنا آسفة٠ أنا ٠٠٠ كل ما أستطيع قوله أن مخاوفك لاتمت الى الواقع بصلة٠ فأنا لم آت للسرقة٠ لك أن تفتش حاجياتي ان لم تصدق٠ وأنا أدرك تماما أن لك كل الحق في أن تغضب، لكني سأذهب الآن و"٠٠٠

فسد طريقها الى الباب وأمسك بذراعها قائلا:

"لا"٠

توقفت فورا ونظرت اليه٠ وامتزجت رموشها الحريرية الطويلة بالدموع وبدت آثار البكاء واضحة حول عينيها، وقالت:

"دعني أذهب، أرجوك٠ لا أستطيع أن أفعل شيئا أكثر من الاعتذار"٠

"دقيقة واحدة، لم أنته بعد، هل هذا هو كل ما تستطيعين قوله؟

"ما الذي تتوقع مني أن أقوله"؟

"تستطيعين أن تقدمي تفسيرا أكثر اقناعا"٠

وتنهدت قائلة:

"هل ستصدقني؟ وهل أنت على استعداد حتى لأن تصغي الي مجرد اصغاء دون أن تنهال علي بالاتهامات؟

"لماذا أيتها الوقحة البذيئة"؟

كان صوته عاصفا على نحو بدا غريبا حتى في أذنيه٠ وانتابه احساس سبب له اضطرابا، احساس يشبه الخجل وأدرك أنه أفرط في صب جام غضبه عليها٠ لكنه أعطاها فرصة للدفاع عن نفسها ولم تفعل وقال لها متذمرا:

"أنا مصغ اليك"٠

وأخذت نفسا عميقا واستدارت اليه لتواجه نظرات الاتهام في عينيه، واستعادت قدرا من تمالك النفس، ورغم أن عينيها كانتا تموجان بدموع بدت معتزة بنفسها وهي تقول:

"من فضلك، دعني أذهب، انك تؤلم ذراعي"٠

وانقلب الميزان بصورة ما وبدأ هو يحس أنه غير مرتاح وانتابه شعور غريب مقبض وقال:

"لا أنوي أن أتركك٠ لماذا جئت وأثرت كل هذا الاضطراب؟

"لم أقصد هذا أبدا، لو عرفت أنك ستعود الليلة لفكرت في شيء آخر لكني لم أتوقع أبدا"٠٠٠

"فكرت في ماذا؟ بديل لماذا"؟

وتنهدت قائلة في يأس:

"أعتقد انه علي أن أخبرك، والا لن تصدقني أبدا: كنت سأمضي الليل هنا"٠

"هنا في مكتبي"؟

فأومأت مؤكدة، فقال لها:
"لكن لماذا"؟
"لماذا يقضي انسان الليل في مكان ما؟ لأن قضاءه في الشارع ليس اكثر مدعاة للسرور".
وفضحت عيناه دهشته وهو يقول:
"أليس لك بيت"؟
فابتسمت بوهن ثم قالت:
"أشارك ثلاث فتيات أخريات في شقة. وأعتقد انه يمكن أن نسميها بيتاً".
"اذن لماذا لم تذهبي الى هناك الليلة"؟
فخفضت عينيها وحولت وجهها بعيدا وهي تقول:
"أستطيع أن أقول أن نوعا من الطوارىء منعني"
"هل هو المرض؟ هل تواجهين مشاكل من نوع ما"؟
وتقلص فمها بمرارة وسخرية وهي تقول:
"كلا، على الاقل ان لم تعتبر الموقف الذي أجتازه مشكلة".
"اذن لماذا؟ بصراحة ان كلامك غير منطقي".
"أعرف. لكني أشك أنك ستفهم اذا أخبرتك بالحقيقة هل تصدقني اذا قلت لك أنني، لم آت لأسرق؟ كل ما كنت أريده هو مأوى لقضاء الليل".
ورأى نظرتها تجول عبر مكتبه حول ولاعة المكتب الفضية والقلمين الثمينين، وصندوق السكائر الكريستال المحلى بالذهب الذي كان الهدية الأولى الوحيدة التي أعطتها كاترينا له ثم ردت بصرها اليه وهي تقول:
"ألا تستطيع أن تقبل اعتذاري وتدعني أذهب"؟
"الى أين"؟
"هل هذا يهم"؟
"يجب أن يكون لك مكان تذهبين اليه"؟
"تلك مشكلتي، أليس كذلك"؟
وجمعت حاجياتها ومشت الى الباب، فقال لها:

"دقيقة واحدة".
فاستدارت اليه وعلى وجهها سيماء التحفز. ورأى استعدادها للدفاع مرتسماً على شفتيها الصامتتين المنضغطتين فقال لها ببطء:
"ما الذي يجعلك متأكدة أنني لن أفهم"؟
"لأنك في حالة غضب شديد ثم لماذا تهتم أن تفهم"؟
"ألا تعتقدين أنك مدينة لي"؟
"قلت لك، أني أشارك ثلاث فتيات أخريات شقة، ولا أعرف ما اذا كنت قد جربت أن تعيش في ثلاث غرف صغيرة مع ثلاثة أشخاص آخرين. الحياة الخاصة هناك تقل لأقصى حد، بل تنعدم فعلا. والأمور يمكن أن تسير فقط اذا قبلت ذلك، وحاولت ألا تنفس عن غضبك".
وترددت مرة أخرى، فأحس بالحنق. لماذا لا تدخل في الموضوع؟ من الواضح أن شجاراً ما حدث وأن زملاءها ألقوا بها الى الخارج لكن الامر لا يستدعي أن تأخذ الأمر بهذه الخطورة، وقال لها:
"ان هذه الأشياء تحدث في كل الأوقات، ويتعين عليك أن تتعلمي الصمود وألا تتهوري. هل طردتك زميلاتك عنوة أم تركت لهن الشقة بمحض ارادتك"؟
"كلا، لم يكن الأمر كذلك على الاطلاق. أنت لا تفهم المسألة. الأمر مقصور على هذه الليلة بالذات. لم يكن مناسبا أن أقضي هذه الليلة بالذات معهن".
بدأ يدرك الموقف، وضحك. لابد أن خياله شاخ اذ نسي المشاكل التي تواجه الانسان وهو يقوم بمغازلة فتاة في غير منزله الخاص، وعاد بذاكرته الى الوقت الذي أمضى فيه ستة شهور في فرع باريس، ومشاكل المشاركة في الشقة عندما كان يحضر كل حبيب حبيبته ويتعين عليه أن يتأكد أولا من خلوها، واضطرار هؤلاء الى البقاء في الخارج. أخذ جاسون يتذكر كل هذا مبتسما لكن الفتاة عاجلته قائلة بحدة:

"ان الامر ليس ترفيها".
"آسف، كنت أفكر في شيء آخر".
"انك لم تكن تصغي حتى مجرد اصغاء، بعد أن أحدثت كل هذه الجلبة".
"كنت أصغي اليك. لكن لماذا كل هذا الانزعاج، اذا كانت زميلتك تريد أن ترفه عن شخص دون وجودك فيمكنك بالتأكيد أن تمضي الليل مع أحد الأصدقاء أو تذهبي الى فندق لهذا الغرض".
"الفنادق تكلف المرء نقودا".

فهز كتفيه وهو يعجب لماذا يهتم بأن يقدم لها الاقتراحات. الافضل أن يتخلص منها ويجمع مذكراته دون أن يبدد المزيد من الوقت. وسحب مفاتيحه واتجه ليفتح الدرج الأعلى من المكتب. فقالت لم دون مواربة:
"اننا في أواخر الشهر. وأنا مفلسة وأنت لم تزل غير مدرك للأمر".
"يا آنسة ميك، هل هناك ما يتعين ادراكه سوى أن لك موهبة مرموقة في أن تعطي لنفسك حريات فاضحة"؟

لم تحر جوابا ولكنه رأى ظلا عبر مكتبه فرفع عينيه ورآها متجهة الى النافذة، حيث نظرت محدقة الى تلك السجادة اللامعة من أضواء لندن التي تمتد الى السماء السوداء، وقالت ببطء:
"زميلاتي سيشتركن في حفل من نوع خاص ويرغبن مني المشاركة فاعتذرت ولهذا انا هنا".

وهنا بدا وجهه متجهما. في صوتها الصريح شيء جعله يتجهم. ورغما عنه شعر للمرة الثانية بأنه غير مستريح، أي شيطان ساق اليه هذه الفتاة؟ وسألها:
"ماذا تعنين؟ نوع خاص من الحفلات"؟

وأحس بأنها قبل أن يسمعها، وكان أول ما تبادر الى ذهنه أنه حفل لتعاطي المخدرات، لكنه قبل أن يصرح

بظنونه قالت له في يأس:
"انك تعتبر الأمر شيئا مسلما به ولا يثير الفضول، وكل من لا يسير في ركاب هؤلاء القوم يعتبر جبانا ورجعيا".
فأجابها بحدة:
"اذا كنت تقصدين ما أعتقد أنك تعنينه - وهو المخدرات - فاني لا أقبل ذلك ولا أسلم به. واذا كان هذا هو ما يجري في شقتك وتريدين أن تبتعدي عنه، فابتعدي ولا تبالي بما يقال عنك".

لابد أن كلماته كشفت عن اشمئزازه على نحو لم يتوقعه هو، فقد أدارت رأسها وبدأت تتأمله وابتسامة الاجهاد على شفتيها وهي تقول:
"أليس هذا هو ما فعلته؟ فلم كل هذه الجلبة؟ انها لم تكن حفلة مخدرات هذه المرة ياسيد ستيل، انما حفلة حب".
"هل أنت رجعية يا آنسة ميك"؟
"لا أعتقد أنه يعنيك ما أكون. واني لأتساءل هل كل هذا الوقت الذي ضيعناه لا جدوى منه، لا أقصد وقتي بل وقتك".

ووقفت صامتة يختلط القلق والفضول على وجهها كما لو كانت تنتظر الاذن منه لكي تهرب، ثم أضافت:
"أنا... أنا لا أستطيع أن أبقى هنا الآن. ولذلك اذا كنت"...

وأبدت اشارة تدل على رغبتها في الانصراف. وأحس هو فجأة بالرغبة في الخروج من المبنى. ونظر الى ساعته وأدهشه أن ساعات انقضت وليس فقط عشرين دقيقة منذ أن دخل المبنى. ووضع الأوراق في حافظته ونظر الى أعلى ليرى أن الفتاة لم تتحرك. كانت واقفة بلا حراك تحملق فيه فقال لها:
"تعالي، تناولي بعض الطعام".
"ماذا"؟
"قلت تعالي تناولي بعض الطعام".

"معك"؟
"ولم لا، هل هناك شيء منفر يبرز من أذني".
وهزت رأسها في يأس قائلة:
"كلا، لكن... أعتقد"...
"أوه، بحق السماء كفي عن الجدل، لا تخشي أن آكلك".
"نعم أعرف ذلك، لكن... لكني لا أفهم".
"لست مجبرة على الفهم. أنا جوعان، ولا احب أن آكل لوحدي".
فتقدمت للأمام غير واثقة، ثم توقفت وقالت:
"ليس لي أن أعتقد أنك أردت أن تأكل معي".
تنهد جاسون وكظم غيظه وهو يقول:
"اسمعي يافتاتي. لا أعتقد أنك في وضع يسمح لك بالتفكير. اما أن تفعلي ما أقوله أو أدعو الحارس ليلقي بك الى الخارج، ماذا تختارين"؟
"لم تترك لي الخيار. حسناً، لكن ملابسي لا تتناسب مع الأماكن الراقية التي أعتقد أنك تتردد عليها".
"لن أتردد على أي منها الليلة. سنذهب الى حانة صغيرة هادئة".
التقطت حقيبتها وسارت نحوه وهي تقول متشككة:
"هل هناك حانات هادئة"؟
اصطحبها الى الخارج قبل أن يطفىء النور وهو يقول:
"الصحبة وليس المكان، هي التي تحدث الضجة".
بقيت بعيدة عنه تنظر الى اللوحة المضيئة والمصعد يهبط بسرعة وهدوء للطابق الأرضي.
ونظر اليهما الحارس الليلي قبل أن ينظر لزميله، وأدرك جاسون أن التكهنات ستكثر بعد رحيلهما ورأت ميك كلب الحارس فقالت:
"أي كلب رائع هذا"!
"لا أعتقد أن هذا سيكون رأيك لو أنك اصطدمت به

خلال الليل".
"لا، لا أظن".
وانتابه وهو يفتح السيارة الاحساس الذي شعر به في المصعد وأخذ يتساءل عما يدور في رأسها؟ هل هي متحجرة فعلا كما تبدو؟ أم أن تلك تمثيلية أخرى فحسب؟
اتجه الى الجنوب الغربي، كان في منتصف الطريق الى مكانه المختار عندما اتخذ للمرة الثانية في الليلة نفسها قراره المفاجىء والغريب، ففي التقاطع التالي اتجه يمينا وتجاوز غرين بارك متجها الى حي سوهو.
ولم تتخل عن صمتها وهي تنزل من السيارة، لكنها للمرة الأولى اقتربت منه قليلا وهما يقتربان من مدخل مظلم. وحياه البواب باسمه، وفتح لهما الباب، وأحسا بالجو الدافىء العبق. ونظرت اليه الفتاة مرة أخرى وهو يصطحبها نازلين عبر سلالم حلزونية ضيقة. وكبت جاسون تكشيرة أوشكت أن ترتسم على وجهه عندما بدأ يستعيد ذكرياته في هذا المكان.
كان الوقت ما يزال مبكرا، وهناك عدد من الوجهاء وعدد أقل من الصبية يتناولون العشاء. وكان الحائط المخملي الأسود يشكل خلفية تبرز الملابس الملونة، خاصة الأكثر غرابة.
وعندما جلسا وجهت ميراندا نحوه عينين تنطقان باللوم وهي تقول:
"قلت أننا سنذهب الى حانة هادئة".
"غيرت رأيي".
"ملابسي لا تتناسب مع مكان مثل هذا".
"هراء فهنا تستطيعين أن تلبسي أي شيء".
"ربما، لكني أود لو لم أكن بملابس العمل".
فقال وعيناه تجولان في ملامحها:
"أنت تبدين في خير هيئة. وفي أية حال لا أجد فرقاً كبيراً بين ملابس العمل التي ترتديها الكثيرات من

الموظفات العاملات معنا وملابسهن في الأماكن الأخرى. هناك فتاة واحدة فقط في الحسابات تبدو دوما كأنها في طريقها الى السهرة".

"أوه... انها الآنسة هارفي، ذوقها رائع في الملابس، لكنها تعمل مساعدة رئيس الحسابات، ومن ثم تستطيع أن تمتع نفسها".

"في أية حال، فأنا نفسي مازلت بملابس العمل".

"أنت مختلف".

شعر بالسرور ولم يستطع أن يقاوم الاغراء الدائم بالحصول على ثقة النساء، فقال:

"كيف؟ لماذا اختلف عن ذلك العدد اللانهائي من رجال الأعمال في المدينة"؟

"هل تود حقا أن تعرف"؟

جعله الصوت الهادىء والأمانة البادية في عينيها الجادتين يخجل من رغبته الخفية في الحصول على اعجاب النساء، وقال بصراحة:

"مركز الانسان في القمة أمر له مساوئه، كما تعرفين. فاذا حدث خطأ ما في العمل فعليه هو أن يتحمل المسؤولية بينما المساهمون في الخطأ لا يرحمون".

"انك مختلف لانك تستطيع أن تذهب لأي مكان في العالم. واذا أشرت لتاكسي فانه سيقف والفرسون يراك دوماً لحظة دخولك. واذا أعطيت أمرا فلن يكون عليك أن تنتظر لترى ما اذا كان سينفذ. انه ينفذ دوماً. الناس يطيعونك غريزياً لأن لك سيماء السلطة. تلك هبة. أعتقد ذلك، وهي الهبة التي يترتب عليها الفرق بين النجاح والفشل في الحياة. وهذا هو السبب في أنك مختلف".

قال جاسون مندهشا:

"ياللسماوات، من اين جئت بكل هذا، انت لا تعرفينني حتى مجرد معرفة".

"ليس من الضروري أن تعرف شخصاً لتحكم على قدراته".

رفع جاسون ذقنه قليلا وهو ينظر بلا تركيز الى الطعام الذي وضعه الفرسون أمامهما وقال:

"هكذا يبدو الامر".

وأخذ يتساءل هل تفكيرها عميق حقاً، أم أن موقفها المحافظ هذا ليس سوى رد فعل للتهديدات التي وجهها اليها عندما وجدها في مكتبه؟ هل كانت هاربة حقا من الحب او ما يسمونه هذه الايام الانغماس في المجون؟

واستعاد آلياً طبيعته الساخرة الأخاذة التي أصبحت طبيعة ثانية يستدعيها عندما يجالس النساء. ونادراً ماخذلته هذه الطبيعة والآنسة ميراندا لا تشذ عن ذلك. اذ بدا أن رهبتها منه ضاعت، وأن تجاوبها يتزايد وترد على أسئلته فورا وان كان بحياء وخجل. وبدأت تتكون في مخيلته وتكتمل صورة عنها. ولم يندهش عندما اكتشف أنها يتيمة وانها نشأت منذ أن كان عمرها عامين في كنف عمة لها، ولم يستغرق الامر وقتا طويلا ليعرف أن تربية هذه العمة واسمها هيستر كانت حازمة متزمتة وحانية في الوقت نفسه. وقال معلقاً على حديثها حول عمتها:

"أعتقد أنك بذلت جهداً مضنياً لتحصلي منها على حريتك. فالحارس الصارم يمكن أن يكون اكثر تشدداً من الأبوين".

"عمتي هيستر لم تكن صارمة".

"أصحيح أنها لم تكن كذلك"؟

"ماتت منذ أربعة شهور".

"شيء يؤسف له".

وساد السكون لحظة، وبدأ يخشى أن تبكي، لكنها هزت رأسها وقالت بصورة أدهشته:

"يبدو أني أسرفت في ذكر حماقات كثيرة عن نفسي".

"كلا، اطلاقا، اشرحي لي كيف أحسست عندما أصبحت فجأة تتحملين مسؤولية حريتك، بعد تلك التربية

المتزمتة والحازمة".

ردت بهدوء:

"كان الأمر مرعباً في البداية. فقدت القريب الوحيد لي بين الأحياء وفقدت بيتي، وفي الوقت نفسه أيقنت أني أستطيع أن أفعل ما يحلو لي. كنت أحيانا أحس بالذنب، أعني أني كنت أحب عمتي كثيرا، لكني لم أكن أستطيع أن أتركها وحيدة".

"ولا حتى لكي تتزوجي"؟

وترددت برهة وبدا التفكير في عينيها وقالت:

"غريب أن تقول هذا، من فضلك لا تضحك، لكن"...

فقاطعها قائلا:

"لماذا هو غريب"؟

"كان حلم طفولتي أن أصبح عازفة بيانو، لكن العمة هيستر لم توافق على أي شيء يربطني بأعمال الترفيه. وقالت ان علي أن أفكر في أمر أكثر أمنا ويعول عليه لمستقبلي، مثل العمل بالسكرتارية او التعليم".

"كانت تلك نبوءة من جانبها".

"كانت على صواب حسب أسلوبها في الحياة. وأكدت لي أن مواصلة تعلم الموسيقى معناه تبديد النقود لأنني لابد أن أتزوج يوما ما أو أستقر في أسرة".

وتأمل جاسون سيكاره وقال:

"لابد أنه كان في ذهنها زيجة معينة لك. فهل هذا من أحلامك الآن"؟

"أحلام... لا يبدو أن هذه هي الكلمة الصحيحة".

فسألها بتكاسل:

"اذن ما هي الكلمة الصحيحة:

"فكرت لحظة ثم قالت:

"لا أعرف، لكن كلمة أحلام تعبر عن السعي لتحقيق أهداف ذائبة، وذلك ليس الموقف السليم بالنسبة الى الزواج".

لمست بكلامها هذا وترا حساسا في نفسه فشعر بالامتعاض، وأصبح صوته قاسيا وهو يقول:

"لا أعتقد ذلك".

وفكر في تغيير الموضوع لكنه قبل أن يتكلم عاجلته قائلة:

"الزواج يجب أن يكون هو الذرة في كل العلاقات الانسانية، وعلى الناس أن يتناولوه بجدية أكبر وبلا أنانية، وأن يدركوا أن العلاقة الطيبة لا تتم فجأة او بصورة سحرية. بل يتعين بناؤها واكتسابها شأنها شأن أي شيء آخر".

قال ساخرا:

"هذا يعني أن البعض يكسب والآخرون يدفعون".

"كلا. ان هذا من أخطر المفاهيم الخاطئة التي تسود حاليا - وهو أنه يمكن شراء كل شيء مهما كانت قيمته. الحب والثقة لا يمكن أن يشتريا، بل يتعين تبادلهما طواعية. لكن الكثيرين يخشون أن يعطوا طواعية اذا لم يحصلوا على مقابل".

رمقها جاسون بنظرة فاحصة أكدت له أنها تؤمن تماما بما تقول وكان على وشك أن يسخر من فلسفتها هذه لكن شيئا ما أوقفه وقال بدلا من ذلك:

"ان الامر أكثر تعقيدا فيما يبدو. وفي أية حال أعتقد أن الزواج ليس محبذا بين الشباب هذه الايام".

وبقيت صامتة طويلا لا تعلق وظهرت في ملامحها امارات اليأس والقنوط فسألها:

"ما بالك؟ انك لم تمضي سوى شهرين في المدينة الكبيرة، فهل كان ذلك كافياً لتبديد كل أوهامك"؟

ضاقت نظرتها الزرقاء وركزتها على وجهه، واهتز كتفاها النحيلان تحت وقع زفرة خرجت من أعماقها وهي تقول بصورة محمومة:

"لماذا؟ لماذا تسير الأمور على هذا النحو؟ ان كل شيء خطأ. والخطايا السبع القاتلة أصبحت مختلطة في الأذهان بل

غير مرفوضة. والعفة أصبحت في عيون الناس خطيئة، انهم يعتقدون أن الفتاة تعتبر شاذة ان لم تقفز الى السرير مع كل رجل تخرج معه مرتين".

وساد صمت مقبض. وأحس فجأة بالاضطراب وأنه صدم على نحو غريب. واخيراً قال:

"من تقصدين بكلمة أنهم".

"الفتيات اللواتي أعيش معهن وأصدقاءهن من الرجال. أنا لا أفهم هؤلاء الفتيات وهن لا يفهمنني. كل ما يستطعن التحدث عنه هو حريتهن المدهشة في أن يعشن حياتهن بالطريقة التي يردنها، انهن لا يفهمن أن حرية شخص ما يمكن أن تصبح سجنا للآخرين".

"كيف"؟

"لأنهن يصبحن طغاة مستبدات بمن لا يوافقهن".

"على أي نحو"؟

"بالسخرية والتبكيت، ان لهن حريتهن، حسنا ويستطعن أن يبدأن علاقة ما، وان يوقفنها في الوقت الذي يقررن فيه ذلك، انهن يستطعن أن يجربن كل الافكار في الحياة و"...

"أفكار جديدة؟ ليس هناك أي أفكار جديدة، كيف ارتبطت بهذه المجموعة من دون الناس جميعا"؟

"أجبت على اعلان في عمود الاعلانات الشخصية جاء فيه: مطلوب فتاة رابعة تشارك في شقة... الشقة جميلة، وقد بدون لي فتيات لطيفات. وكنت أكره دار الشباب بعد اقامتي فيها لمدة اسبوعين. في أية حال، فالانسان لا يستطيع أن يقيم طويلا في هذه الدور، كانت مجرد محطة حتى أجد مكانا دائما. وكنت أشعر بالحاجة الى أن يكون لي مكاني الخاص بي، وأن تكون لي حياتي الخاصة، لكنني أتهمت بأنني غير طبيعية. واذا لم أنضم لتلك الحفلات يقال عني أني مفرطة في الرجعية وصعبة الارضاء. لكن لي الحق في أن أحيا الحياة التي أريدها وفق المبادىء التي اؤمن بها. وأنا لا أحاول

أن ألقي المواعظ على الناس، فلماذا لا أترك لشأني".

قال بهدوء وهو ينظر اليها مليا:

"اعتقد أنك صغيرة وساذجة الى حد لا يتيح لك فهم الاجابة على ذلك السؤال الآن. أريد أن أفهم كيف تتحدثين بمثل هذه الصراحة الى غريب مثلي؟ لأنني أعتقد أن الرجعيين والمفرطين في الاحتشام لا يثقون بسهولة في الغرباء".

فنظرت بعيدا وقالت:

"لا اعتقد أني مفرطة في الاحتشام كل ما في الامر أن لي مبادئي وأشعر أن الناس يهونون من شأنها".

"لم أقصد هذا على وجه التحديد".

فعادت ببصرها اليه وهي تقول:

"أنا أعرف لكني أخبرتك بالفعل. فأنت مختلف عن غيرك من الناس وأنت غير متحيز على الاطلاق ولهذا اسرفت في التحدث اليك".

وأوحت اليه غريزته بأن ينظر الى ساعته وعندما فعل اكتشف أنه مضت ساعتان. وأطفأ سيكاره وفورا حولت بصرها عنه موضحة أنها على استعداد للرحيل عندما يريد وقاما بالفعل.

وعندما خرجا الى الشارع كانت السماء تمطر بغزارة، واجتازا المسافة القصيرة التي تفصلهما عن السيارة حينئذ قال لها:

"حسنا الى أين الآن"؟

فتنهدت وهي تقول:

"يبدو أني نسيت هذه المشكلة لبرهة".

فأدار السيارة وانطلق بها وهو يقول:

"أما أنا فلم أنس. وأعتقد أن هناك اجابة وحيدة لذلك".

"هل... هل ستسمح لي بأن أعود ثانية الى المكتب"؟

"يا للسماوات، كلا! سأعطيك سريراً تقضين فيه الليلة".

"سرير؟ ماذا تقصد؟ أين"؟

"في مسكني، أين يمكن أن يكون غير ذلك"؟
"كلا! لا أستطيع! شكرا لك! لا أستطيع".
"لم لا؟ ما لم يكن هناك ترتيب بديل في ذهنك".
وأدرك من صمتها أنه ليس لديها حل بديل، وقال بلا حماس:
"أستطيع أن أقول أن لديك ثلاثة بدائل للاختيار منها: مخاطر تلك الحفلة، والبرد والبقاء في الخارج. وساحة بيكاديللي هي المكان المفضل لذلك، او الذهاب الى مكان تتوافر فيه كل وسائل الراحة في مكان محترم. فما هو قرارك"؟
فتنهدت في يأس وهي تقول:
"أنت تعرف أنه لا يمكن أن يكون الحل واحدا من هذه البدائل لو أنك فقط لم تعد هذه الليلة".
"لكني رجعت. أنت لا تثقين في، وتعتقدين أني أتآمر على براءتك".
فقالت في صوت ضعيف مضطرب:
"لا أعرف كيف أفكر".
"هل الفكرة مرعبة؟ هل الامر كذلك"؟
"كلمة مرعبة ليست هي الكلمة الصحيحة".
"نسيت أنك دوماً تبحثين عن التعريف الدقيق يا آنسة ميك هل عبارة مثيرة للاشمئزاز".
"كلا، أعتقد أن كلمة محزن كافية".
وأدت المشاعر التي كشف عنها صوتها الى تغير موقفه. فأوقف السيارة فجأة ومضى بها الى الموقف. ولم يبذل جهدا لاخفاء غضبه وأدار وجهه الى حيث تجلس ليواجهها وعندما اقترب منها انكمشت وغاصت في مقعدها فقال لها بغضب:
"لا تنظري الي كما لو كنت فاسقاً أسيرا للشهوات. أنا أول من يعترف بأنني أحب النساء، لكن ليس الى الحد الذي ترتابين فيه وعندما أريد الترفيه عن نفسي فمن المؤكد أني لا أجد ذلك مع صغيرة بريئة مملوءة رعباً وكأنها قدمت تواً

من موعظة في العصر الفيكتوري. والآن أصغي الي أيتها الصغيرة، سوف أعطيك فرصة واحدة أخيرة، فاغتنميها او أذهبي الى الشيطان والى تلك المدينة التي تفتح أبوابها لكل طارق والتي ترتعبين منها".
كانت يداه ترتعشان وهو قابض على عجلة القيادة وأدار السيارة وانطلق بها ثانية، وهو يقول:
"هناك فندق قريب، أعرف مديره. سأحجز لك الليلة فيه حيث تكونين آمنة، وبعد ذلك افعلي ما يحلو لك. ومن الخير لك أن تبحثي عن بيت جديد، أو أن تعودي حتى الى بلدك. فالفتيات الصغيرات مثلك لا يجب تركهن في متاهات لندن".
ووصل الى مسامعه صوت انتحابها مما أثار موجة جديدة من غضبه فقال ساخطاً:
"بالله عليك حاولي ألا تنتحبي ونحن ندخل الى الفندق".
"كيف استطيع هذا؟ ليس معي نقود، لقد قلت لك ذلك".
"أنا أذكر هذا. وأشك أن أي فندق محترم يقبل أن يستضيفك في هذا الوقت من الليل وبتلك الأمتعة القليلة مهما كان لديك من نقود اتركي لي هذا الامر، ولا تجادلي ان كنت عاقلة".
ونزلت من السيارة ببطء ومضت تتعثر خلف خطواته القوية الواسعة وهو يذرع الممر القصير الذي تحف به الاشجار وعندما لحقت به قالت له:
"سأسدد لك نقودك بأسرع ما أستطيع شكرا لك على الطعام و..."
"انسي ذلك".
كان يريد أن ينتهي من كل هذا. ودفعها برفق الى الداخل حيث أعطى تعليماته لكاتب الاستقبال الليلي. وانتهى الاتفاق في دقائق ثم تمنى لها ليلة سعيدة وفر مسرعا الى سيارته.
وعندما وصل الى بايرن سكوير كان قد نجح في أن ينزع من ذهنه كل ما يتعلق بالآنسة ميراندا "ميك".
كان نادرا ما يشعر بالحاجة الى تحليل دوافعه وأعماله،

الا فيما يتعلق بادارة الاعمال، ولم يكن يريد أن يخرج على هذه القاعدة الآن، لكن أي طفلة غريبة هذه، كان يظن أن مثيلاتها انقرضن. وتثاءب جاسون وأحس بتعب وملل مفاجىء من نظام حياته، فيوم الاثنين سيذهب الى بون، ويوم الاربعاء سيذهب الى ستوكهولم ليعود الخميس الى لندن، ثم يذهب الى نيويورك الاثنين التالي... ان جدول الأسبوعين التاليين لا يبعث على السرور. ربما استطاع أن يأخذ استراحة بعد رحلة أميركا، ربما استطاع أن يتوقف في... وقطع رنين الهاتف حبل أفكاره وعندما وصل اليه واستمع الى المتحدث صاح:

"ليسا".

"هل دهشت".

"جدا، لكني لم"...

"أنا أعرف يا عزيزي، لكن اسمع، هل أستطيع أن آتي لأراك"؟

"بالطبع، لكني أعتقد أنك"...

"ان اعتقادك خاطىء يا عزيزي. ذهبت الى ايطاليا عند اختي وكان المفروض أن أعود غداً، لكني عدت اليوم، قبل الموعد بأربعة وعشرين ساعة وزوجي جيمس لا يعرف أني عدت. لذلك فكرت أن آتي اليك وأبيت عندك".

وفجأة وجد جاسون نفسه يقول بصوت أجش: حسناً. فهمست قائلة:

"مضى وقت طويل. سنة تقريبا. افتقدتك كثيرا، ومازلت أشعر بالذنب لاني آذيتك. ولذلك فكرت في أن آتي اليك، فربما استطعت أن أجعلك تعفو عني... ربما... ولذلك جئت قبل موعدي بأسبوع لألقاك، فهل كنت محقة"؟

فأجاب في اقتضاب:

"لا تدفعيني الى الاجابة على هذا. أين أنت"؟

"في المطار".

"سآتي لآخذك، سأصل اليك في عشرين دقيقة"...

"كلا، سأستقل تاكسي. لابد أن أكون معك سريعا".

"هل أكلت"؟

"أثناء الرحلة. لا تشغل بالك بشيء.. أنا فقط أريد أن أراك ثانية أوه يا جاسون إنه لأمر رائع أن أسمع صوتك ثانية. فقط أضيء الشموع لأجلي، بالطريقة التي اعتدنا بها أن"...

وتوقف الصوت الناعم، وانقطع الخط.

وزايلت جاسون حالة الملل، وتسارعت دقات قلبه. للأسف ليس لديه زهور... وليس هناك شموع أيضا.

فاطفأ النور الرئيسي وترك فقط مصابيح الجدار الواهنة الضوء وأشعل المدفأة وتأمل الغرفة الدافئة الجذابة.

ليسا.. عجباً كيف تعرف دائما متى يكون في أشد الاحتياج اليها!

٢ - عودي الى عملك يا آنسة

حتى في الساعات الأولى من بدايات أسابيع العمل وبعد العطلات الاسبوعية، لم تكن غرف الموظفين في شركة "كارونا ستيل" تخلو من جو التنافس والمناورة، ويرجع ذلك في جزء منه الى اختلاف تقييم الشركة لمستخدميها • وكان المسؤولون عن الشركة يدركون تماما أن المستخدمين يستغرقون جزءا كبيرا من بدايات الأسبوع هذه الأيام ليهيئوا أنفسهم فكريا للعمل، وأن المستخدمات بصفة خاصة لا يطمئن لهن الا بعد التأكد من أنهن يبدون في أجمل مظهر، ووفرت الشركة كافة وسائل الراحة اللازمة لكل من يعمل لديها • لذلك كانت غرفة السيدات في الطابق الخامس• وهي تضم كل ما يحتاج اليه السيدة العصرية، من مرافق الاغتسال، أجهزة وبيع العطور والمناشف، بل والثياب من الأنواع التي توجد في فنادق الدرجة الأولى•

وفي يوم الاثنين التالي للقاء ميراندا مع جاسون، كانت ميراندا في غرفة السيدات مع زميلاتها، وأرادت سوزان صديقتها شراء ثوب وفتحت حقيبتها لتحصي النقود وشفتاها تتحركان في صمت وهي تعدها ثم غمغمت متذمرة وهي تقول:

"يا للعنة ان شراء جوارب حتى من الأنواع الرخيصة سيجعلني مفلسة اليوم• ميراندا هلى يمكن أن تقرضيني جنيهين؟ من فضلك••• سأردهما لك غدا دون تأخير، أعدك بذلك"•

وكانت تحدق في ميراندا برجاء من خلال المرآة، وهي نافذة الصبر وأضافت:

"اذا لم تعطني فلن أتناول طعام الغداء او سأضطر الى ان أقطع المسافة في العودة الى منزلي سيرا على الأقدام"•

وضعت ميراندا المشط من يدها دون أن تنطق بكلمة ومضت الى حقيبتها وأخرجت منها النقود ووضعتها أمام سوزان• [illegible] هذه قائلة:

"شكرا لك• سأظل ممتنة لك الى الأبد"•

وسارعت بشراء الجوارب والذهاب لارتدائها • وعندما عادت الى المرآة لتلقي بنظرة اطمئنان على منظرها، كانت ميراندا ما تزال واقفة بلا حراك• وقالت سوزان:

"[illegible] ليس رديئا • وان كنت أفضل الأنواع الموجودة في الآلة الأخرى، لكنها غالية فالادارة تحقق منها ربحا كما هو شأنها في كل شيء• ميراندا ما بالك؟ انك تبدين كأنك رأيت [illegible]"•

وابتعدت ميراندا عن المرآة وهي تقول:

"هل أبدو كذلك• اني شاحبة بصورة طبيعية• هل أنت جاهزة يا سوزان"؟

"[illegible]"•

"[illegible] بنا"•

وأسرعت رينا هارفي زميلتها وهي تقول تعليقا على حالة ميراندا:

"[illegible] تبدو كأنها ذاهبة الى المقصلة، ما بالك ياميك"؟

"لا شيء"•

[illegible] ميراندا شفتيها وهي ترى رينا هارفي، تتجه الى [illegible]ـها• انها ثرثارة تتدخل فيما لا يعنيها• وانتظرت [illegible] صديقتها سوزان بفروغ صبر، وعندما جاءت هذه [illegible] عن جواربها، بينما وقفت ميراندا تسترق السمع [illegible] وهي أمام المرآة وقد سمعت منها الكثير مما جعل

وجهها شاحباً. فقد عاد جاسون.

جلست ميراندا الى مكتبها ونزعت غطاء الآلة الكاتبة. آه لو علمت رينا هارفي كم كان كلامها قريبا من الحقيقة. فقد مضت تسعة أيام بالضبط على تلك الليلة التي حاولت فيها المبيت في مكتب جاسون. كانت أعصاب ميراندا قد بلغت أقصى حدها من التوتر. ففي ذلك اليوم كانت تنتظر استدعاءها للتحقيق، الأمر الذي يعني إنهاء عملها، وعندما حلت الساعة الخامسة ولم يجيء، تجرأت وتنفست في استرخاء. وعندئذ عرفت أنه مسافر. في بون. لذلك لم يجيء أصلا.

وفي يوم الاربعاء التالي أخبرتهم رينا التي لا يفوتها شيء أنه اتجه الى ستوكهلم، وأنه يتوقع عودته في اليوم التالي، وسيذهب الى نيويورك في الاسبوع التالي. وراودت ميراندا فكرة أن تتمارض يوم الخميس، بأمل أن ينسى كل شيء عنها لدى عودته من أميركا. لكنها سرعان ما تخلت عن هذه الفكرة، هل سيهتم بأن يستدعيها شخصيا؟ وتذكرت قوله لها "اخبريني بالحقيقة قبل أن أتمتع بفصلك شخصيا والالقاء بك خارج المبنى".

لكنه أخذها للعشاء، حيث أصبح ساحراً جذاباً تماماً. انها لم تخرج أبدا مع رجل مثله، متحضر، مطلع وجذاب بطريقة مغرية حتى وان كانت ترعبها. لا... لا يمكن أن يفصلها!

وتنهدت بصوت مرتفع محاولة أن تمحو ذكرى جاسون من ذهنها وأن تركز على عملها، ولو كان لها أن تشغل بالها فذلك يجب أن يكون في سبيل البحث عن سكن آخر ملائم لها. وربما كان السكن الذي ستراه الليلة هو الحل. لكن جاسون ستيل ظل حتى وهو بعيد يسبب قلقا لميراندا في كل لحظات يقظتها. ومر اليوم مثل أي يوم عمل آخر ولم يتم استدعاؤها، لكن هل سيحسم شيئاً من أجرها في آخر الشهر؟ وبعد أن تناولت طعاماً خفيفاً مضت تذرع المدينة تفتيشاً عن شقة

أخرى صغيرة تشارك فيها زميلة أخرى.

وللمرة الأولى منذ أن بدأت بحثها شعرت بالتفاؤل وهي تضغط على جرس الباب.

كان الشارع يبدو هادئاً يبعث على البهجة، والمنزل من طراز عصر الملك ادوارد، تم طلاؤه حديثاً، وتنسدل الستائر على كل شبابيكه. وأحست أن روح عمتها هيستر تبارك اتجاهها لهذا المنزل.

وعندما انفتح الباب ورأت ميراندا سيدة سوداء الشعر تقف قبالتها مبتسمة أحست بتفاؤل أكثر وقدمت السيدة سوندرز نفسها وهي تتأمل ميراندا. ويبدو أن ما رأته منها سرها لأنها ابتسمت مرة أخرى بطريقة غير رسمية وتطوعت باخبار ميراندا بأن تلك هي اول تجربة لها في تأجير جزء من البيت، فقد تزوجت ابنتاها وهي ارملة وتوصلت الى قرارها هذا بعد أن أخبرتها ابنة أختها أنها ستجيء الى لندن لتعمل وأنها تريد مكاناً للاقامة فيه. ومضت تقول:

"ومن ثم فانك ستشاركينها الشقة، أرجو أن تسامحيني لما أقول، لكن علي أن أكون حذرة فتلك أول مرة تبعد فيها جان عن بيتها وأختي ليست سعيدة بذلك فهي تؤمن بأن كل فتاة صغيرة تذهب الى لندن يعني أنها تذهب للشيطان".

وابتسمت، لكن وجه ميراندا البيضاوي ظل جاداً وهي تقول: "نعم، أدرك ذلك تماماً. وهذا هو السبب في أنني هنا فان روحي تكاد أن تزهق من المكان الذي أعيش فيه حالياً".

"نعم ان الأمر يستغرق وقتا كبيرا حتى تجدي مكاناً في مدينة غريبة خاصة اذا كان ذلك في المرة الأولى التي تبتعدين فيها عن بيتك. هل تريدين رؤية الشقة"؟

"نعم لو تكرمت".

لم تكن الشقة كبيرة، كانت تتكون من غرفة نوم أمامية وغرفة اضافية في الدور الاول، لكنها كانت مزخرفة بطريقة تدل على الذوق والستائر الجديدة مبهجة وجذابة. كانت

هناك خزائن واسعة، ووحدة غسيل ومطبخ".

وقالت السيدة سوندرز وهي تبتسم:

"تستطيعين أن تضيفي الأشياء الصغيرة الخاصة بك اذا كان ذلك يسرك".

ويبدو أنها كانت تنتظر رداً، وترددت ميراندا. كان الايجار أقل مما تدفعه حاليا وأخيرا قالت:

"انها لطيفة، وتبدو معقولة للغاية".

"ليس لدي النية أن استغل الشباب. وستكون أنا وجان وأنت بمثابة أسرة، وضميري لا يسمح لي الا بأن أتقاضى منك ما ستدفعه جان، متى ستنتقلين الى هنا"؟

كانت ميراندا مملؤة غبطة وهي تعود الى الشقة القديمة. جان لن تصل قبل الشهر المقبل، لكن السيدة سوندرز قالت انه ليس على ميراندا أن تنتظر مجيئها حتى تنتقل الى الشقة. ثم تحدد موعد الانتقال في عطلة نهاية الاسبوع التالية ورغم أنها لم تكن تعرف عن زميلتها في الشقة سوى ما قالته السيدة سوندرز، شعرت أنها تستطيع أن تحيا حياتها في المستقبل بلا تدخل في شؤونها.

لكنها ظلت طويلا تفكر في أخبار زميلاتها في الشقة القديمة وأدركت أنها تخاف منهن. كن متلهفات أن يعرفن أين ذهبت الليلة التي أقمن فيها حفلهن. ورغم أنها لم تستطع أن تقاوم الرغبة في أخبارهن بأنها تناولت العشاء مع رجل، رفضت أن تكشف لهن عن شخصيته. وكان من المشكوك فيه أنهن صدقنها وأمطرنها بوابل من الاسئلة والاستجوابات جعلها تتساءل بينها وبين نفسها اذا كن سيصدقنها لو قالت لهن الحقيقة كلها فيما يتعلق بتلك الليلة.

ومع ذلك فلم يكن هناك مبرر لخوفها من رد فعلهن ازاء قرارها. فلويز لم تكن تبالي بشيء سوى شؤونها في ذلك الوقت، وكانت فاندا في حالة مزاجية تدفعها للمشاكسة والفضول، وجين وحدها أثارتها فكرة البحث عن فتاة

رابعة أخرى. لكن فاندا قالت أنها تعرف واحدة وقالت جين:

"اذا لم تكن هذه الفتاة مناسبة، فانك ملزمة يا ميراندا بدفع اجرة شهر آخر. فنحن لم نطلب منك الرحيل".

ولم تعقب ميراندا على ذلك رغم رغبتها في ذلك، اذ أحست أن مشكلة على الأقل قد حلت. وكان الأسبوع التالي مزدحما بالعمل ومضى سريعاً وفي صباح يوم الثلاثاء طلبت من صديقتها سوزان وهما في طريقهما الى العمل أن تعاونها في الانتقال، حتى لا تضطر الى مطالبة زميلاتها في السكن بمعاونتها. وقالت لها سوزان:

"كنت اتساءل عما ستفعلينه، وأنا تحت أمرك تماما، لكن لماذا لا تعاونك زميلاتك في السكن. أعتقد أن السبب هو أنك مستقلة عنهن ومن ثم فهن لسن راضيات عنك".

"حقا، لست أشعر بذلك. وعموماً شكرا لك. فأنت صديقة مخلصة وسأرد الجميل لك يوماً ما. انني قلقة نوعاً ما. حجزت سيارة تاكسي وآمل أن يكون السائق ودودا، لكن حظي سيكون سيئاً لو جاء سائق شرس فيستضيع مني أشياء كثيرة وتضطرب أحوالي".

"نسيت أختي مرة علبة في سيارة تاكسي. كانت ذاهبة الى حفلة ولتمضية ليلة في منزل صديقة لها، ومن ثم عبأت ما تحتاجه للذهاب للعمل في اليوم التالي في العلبة. ولم تدرك ما حدث الا بعد أن مضى التاكسي، ولم تستطع أن تتذكر رقمه. وضيعت نصف الحفل في محاولة الاتصال هاتفياً لتعقب السائق، وعندما عرفته قيل لها أنه مضى في رحلة لخارج المدينة"...

لم تكن ميراندا تصغي. فقد توقفت في منتصف الطريق الى مصعد الشركة وأخذت تحدق عبر الردهة الرئيسية. كان جاسون خارجا من المصعد مسرعا لا يتلفت يمنة ولا يسرة، وكان الموظفون يفرون من أمامه ليفسحوا له الطريق وهو متجه الى الأبواب الرئيسية. وأغلقت الأبواب من خلفه

لكنها لاحظت أن ضوء شمس الصباح قد جعل شعره الأسود المتدل على صدغيه لامعا ومتميزا عن لون بشرته التي تبرق كالفضة. لماذا تضفي عليه لمسة الفولاذ التي يتسم بها شعره مثل هذه الجاذبية؟ وأخذت كل الموظفات السائرات في الردهة يصلحن من زينتهن في الخفاء ووقف جاسون ليتحدث الى شخص ما خلف تمثال من الصلب ينتصب في وسط الردهة.

هل كان ذاهبا؟ هل هناك شيء ما؟

وهتفت بها سوزان:

"ميراندا، ماذا أصابك بحق السماء".

"لا شيء... أنا"...

وحاولت أن تعود الى طبيعتها وأن توجه انتباهها الى سوزان. أما في داخلها فكانت أفكارها ما تزال مع جاسون وكانت هناك مشكلة أخرى تقلقها هي مشكلة دينها لجاسون، ربما كان الامر لا يعني شيئا بالنسبة اليه، فهو رجل لا يهمه أن يذهب في رحلة لمدة يوم واحد الى اكابولكو ليرى فتاته، لكن المسألة هامة بالنسبة الى ميراندا. فما الذي ستفعله ازاء فاتورة الفندق تلك؟ لا شك أنه ليس فندقا رخيصاً. لو كان معها نقود حينذاك لأصرت على الدفع بنفسها ولكن لم يكن لديها نقود وما زالت تحس ارتجاف اللحظة التي اقتربت فيها من موظف استقبال الفندق بعد الافطار. لم يكن ذلك سهلا.

وفي أصيل ذلك اليوم توصلت الى قرار وقبل أن تعيد التفكير فيه ثانية وجدت نفسها في المصعد وهي تضغط زر الدور الحادي والعشرين وقبل أن يتوقف، شعرت بتوتر عنيف وساورتها بعض الشكوك. كان السكون مخيماً وكان احساسها بوقع قدميها على السجاد السميك مألوفاً لديها، وكذلك الجدران البيضاء والأبواب الزجاجية لغرفة الاستقبال الخارجية واستعدت للقاء الآنسة مايو السكرتيرة التي نهضت من مكانها واستعدت لمقابلة تلك الفتاة المقتحمة. كانت الآنسة مايو مشهورة بشدتها. لا أحد يعرف عمرها،

الذي تتراوح التخمينات حوله بين الأربعين والستين، كما لا يعرف أحد أي تفاصيل عن حياتها الشخصية، فقد قال البعض أنها ترعى والدا مريضا، وقال آخرون أنها متزوجة، لكنها تؤمن بفصل المسائل الشخصية عن مقتضيات العمل، وقال آخرون أنها خليلة والد جاسون السابقة وأنها وعدت الرجل العجوز وهو على فراش الموت بأن ترعى شركة كارونا ستيل طالما كان ابنه يحتاج اليها، وأيا كانت الحقيقة، فلا احد يستطيع أن يتجاهلها الا اذا كان جاسون هو الذي يطلب ذلك.

وتفحصت السكرتيرة ميراندا وهي تطلب مقابلة جاسون وتقول لها بنصف ابتسامة باردة:

"السيد ستيل في اجتماع. هل الأمر هام"؟

"نعم أن الأمر كذلك".

"لو تركت له رسالة، فسأطلعه عليها بمجرد أن ينتهي الاجتماع".

وفجأة فقدت ميراندا شجاعتها وقالت:

"سوف... سوف.. أقول للسيد... سأقول له... هاتفياً..."

وهرولت مسرعة الى المصعد. وفقدت الأمل في لقائه، لكن اتاها الحظ في وقت لم تكن تأمله. ففي اليوم التالي كانت تتناول طعامها في الكافيتريا عندما رن جرس التليفون ورد عليه أحد العاملين بالكافيتريا، ثم مالبث أن أعلن بصوت عال سمعته ميراندا، ان السيد جاسون يطلب طعامه. لابد وأنه بقي للغداء، لكن ماذا عن سكرتيرته. وعلى الفور نهضت ميراندا وعادت الى مكتبها وأخذت منه عشرة جنيهات لتسدد الدين الذي يقض مضجعها. وصعدت بالمصعد فورا لتجد الطابق الواحد والعشرين مهجورا، وتنهدت في ارتياح عندما رأت غرفة الاستقبال خالية، فلابد أن الآنسة مايو في الخارج تتناول غداءها مالم تكن تشارك جاسون طعامه.

وتمنت ألا تكون هناك، اذ كانت تخشاها أكثر مما تخشى جاسون نفسه. ومضت في خطوات متلصصة وهي تتسمع ـ

ثم رفعت يدا مرتعشة لتفتح الباب• وفي تلك اللحظة فوجئت بالباب ينفتح، واستطاعت ميراندا بصعوبة أن تنقذ نفسها من السقوط•

كان جاسون هو الذي فتح الباب• وتراجع خطوة للوراء ورفع يده كمن يدافع عن نفسه• وظل الاثنان لحظة يحدقان في بعضهما البعض، وكان هو أول من استعاد رباطة جأشه• وقال:

"حسناً" !

ولم يبد في عينيه أنه يعرفها وان استمر يحدق فيها وكرر قوله:

"حسناً" !

وردت ميراندا وقد زايلتها شجاعتها تماما:

"أنا ••• أنا ألا تتذكرني ياسيد ستيل• لكنك•• أنا الفتاة"•••

ونسيت تماما الخطة التي أعدتها سلفا ولفها الصمت فلم تحر جوابا لفترة ثم أخذت نفسا عميقا وقالت:

"ياسيد ستيل، أنا آسفة أن أقطع غداءك، لكني أريد"•••

"أنت الآنسة ميك الصغيرة"•

وأحبط تعرفه الساخر عليها محاولتها أن تبدأ الشرح• وتراجع للوراء وهو يقول لها:

"ألا تتفضلين يا آنسة ميك"؟

وفضحت عيناها عدم ثقتها بنفسها، ودخلت الى الغرفة الفاخرة المريحة ومضى الى الاريكة التي كانت قبلا تريد أن تمضي ليلتها عليها وجلس وهو يقول بجفاء:

"ما الذي أستطيع أن أفعله من أجلك هذه المرة، ياميراندا ميك"؟

"لا شيء، حاولت أن أراك طوال الاسبوع الماضي"•

"حقا، اني أتملص فعلا"•

"كلا، لكن••• كنت أود أن أشكرك، هذا هو كل ما في الأمر"•

"على ماذا؟ هل يضايقك أن أواصل طعامي"؟

"أوه، كلا، أنا آسفة• لم يكن لي أن أقطع غداءك• لكن تلك هي الطريقة الوحيدة لكي أجدك منفردا• اذ أود أن أعطيك هذا"•

وأسرعت تناوله الورقة ذات الجنيهات العشرة وأضافت:

"آمل أن تكون كافية• لكني لا أعرف المبلغ بالضبط• وأردت فقط أن أشكرك، وأن أعرب عن بالغ تقديري لما فعلته، لكن لا يمكن أن تدفع الحساب لي• اذا لم تكن كافية فأرجو أن تخبرني"•

"ما الذي تتحدثين عنه، وما هذا"؟

ونظر الى النقود في يدها فقالت:

"هذا من أجل فاتورة الفندق"•

"أوه• قلت لك من قبل انسي هذا الموضوع"•

"نعم أعرف ذلك، لكني لا أستطيع"•

"ألم تسمعي عن المجاملات"•

"عليّ أن أسدد لك• لا أستطيع غير هذا• ذلك أقل ما أستطيعه"•

"خذيها، لا أريد أن آخذ مدخراتك"•

"لكن"•••

"أحذرك، اذا وضعتها على مكتبي فسألقي بها في سلة المهملات"•

"هل تلقي النقود في سلة المهملات"؟

ونظر الى تعبير وجهها المشدوه وضحك على نحو غير متوقع وهو يقول:

"ميراندا ميك، يجب أن أحذرك: لست معتادا أن أغلب في الجدل وأفقد حجتي"•

"اني أقدر هذا ياسيد ستيل أنا لا أريد أن أجادلك، ولا أن أغضبك"•

"أتساءل ما اذا كانت حساسيتك المفرطة تجعلك تعانين دوما من ذلك العائق"•

"أي عائق".
"ذلك التناقض بين طابعك العنيد وبين معنى اسمك فكلمة ميك تعني الحليم. ولا أدري أيهما هو الأصيل؟ هل الاسم هو الذي يثير فيك عنادا كنوع من الدفاع عن النفس؟ أم أنك حليمة بالاسم فقط"؟

"كلا بل حليمة بالطبيعة . ليس هذا عدلا او رحمة. فأنا أستطيع أيضا أن أفسر اسمك ياسيد ستيل، فكلمة ستيل تعني الفولاذ".

وظنت أن مطارق غضبه ستنهال على رأسها، لكنه فجأة انفجر ضاحكا وهو يشير لها الى صينية طعامه ويقول:

"هل تريدين فنجان قهوة".

"كلا، شكرا لك. وفي أية حال ليس هناك سوى فنجان واحد".

"كلا، سكرتيرتي مستعدة لكل الطوارىء، فدولابها مليء بكل شيء ألقي نظرة، ستجدين فناجين بلا شك".

"أفضل الا أفعل. فقد تناولت طعامي ومضت الساعة المخصصة لغدائي وسأتأخر الآن".

"أنا لا أصلح عذرا لتأخيرك"؟!

"كلا، لأن الأمر مسألة شخصية حقا".

ومال برأسه الى أحد جانبيه وعلى وجهه تعبير غير مفهوم. ثم وقف فجأة ودار حول المكتب وهو يقول:

"نعم، أعتقد أن ذلك مسألة شخصية للغاية. مسألة دين وشرف وما الى ذلك. لم أكن أتوقع أن أسمع عن ذلك ثانية".

"هل تعني أنك اعتقدت اني قبلت فحسب ولم أكن لأهتم بالسداد".

"شيء من هذا القبيل".

"لكني لا أستطيع، خاصة بعد ما فعلته أنا... وأنت لم تكن تعرفني حتى مجرد المعرفة".

"هل هذا مهم؟ لقد قدمت أنت لي بشخصيتك صورة أخرى من الناس كنت في أقصى الحاجة اليها في تلك الليلة، ومن

ثم فالمسألة ذات فائدة متبادلة".

"لا أفهم".؟

"لا عليك، انسي الموضوع يا آنسة ميك".

"صورة أخرى؟ ماذا تعني بذلك"؟

"هل نسيت مشاعرك المثالية. فأنت هربت من حفل عربدة تلك الليلة، وانتهى الأمر بأن دفع لك رجل أجر البيت والاقامة... ثم فاني لا أفهم سبب قلقك".

وأدهشها هذا الاتهام الضمني، وقبل أن ترد ردا مناسبا تقدم اليها ووضع يده على كتفها، وحدق في وجهها وهو يقول:

"لكني أكره أن تردي الي محاولتي القيام بدور الفارس النبيل".

وقبل ان تدرك مقصده، او تستطيع الاعتراض، أسقط النقود من فتحة قميصها وتراجع الى الوراء ونظر في ساعته وهو يقول ببرود:

"أليس هذا وقت عودتك الى عملك يا آنسة ميك".

٣ - قرب النار

كانت ميراندا حريصة أشد الحرص على ألا تنفق تلك الورقة البالية ذات العشرة جنيهات ·

وأعفاها انتقالها الى الشقة الجديدة مؤقتا من التفكير فيه، فقد كانت مشغولة للغاية في ترتيب حاجياتها · وبواعز من ضميرها الحي دوما حرصت على ألا تأخذ بوصة زيادة عن حقها في نصف محتويات الشقة كالخزانة، والرفوف· وتركت عن عمد كل المساحات التي تخصها في غرفة الجلوس فعندما تصل جان سيقرران معاً مواضع اشياء كل منهما وماذا يوضع بها · كيف تبدو جان؟ هل ستكون ودودة؟ هادئة وجادة، أم مرحة ومحبة للهزل؟ أتمنى أن تكون من محبي الموسيقى الشعبية والباليه مثلي ·

وبمجيء يوم الثلاثاء، بدأت تشعر أنها في بيتها · وكتبت لكل من يعنيها أمرهم لتخبرهم بعنوانها الجديد· ونظمت المطبخ بطريقة تكفل لها الاسراع بتناول افطارها صباحا ·

وفي صباح يوم الجمعة جاءت رينا هارفي بنفسها الى المكتب وألقت على ميراندا نظرة خاصة وهي تقول لها :

"ما هي علاقتك بالطابق الحادي والعشرين يافتاتي"·

"لا شيء·"

وتدخلت سوزان في الحديث وهي تسأل رينا ·

"ماذا تقصدين؟"

ونهضت ميراندا من مكتبها وركبتاها ترتعشان وهي تسأل:

"ماذا هناك؟"

وردت رينا بوقاحة:

"كيف أعرف؟ السيد جاسون لا يخبر أحدا بشؤونه· والآن اذهبي ياميراندا ولا تتركيه ينتظر في قلق بحق السماء فقد أرسل في طلبك"·

كانت راحتا يدي ميراندا مبللتين بالعرق رعباً وهي في المصعد، ماذا فعلت ليستدعيها السيد جاسون الى برج السلطة هذا؟ انه لم يرسل أبدا يطلب أحدا من تحت سوى رئيس المديرين التنفيذيين· لا شك أنه بعد كل هذه المدة لن··· ولا يمكن أن يكون غير رأيه بشأن العشرة جنيهات تلك·

وحاولت أن تضحك في سرها، لكنها تأوهت بصوت مرتفع مما جعل زميلها في المصعد وهو رجل عجوز ينظر اليها في حدة· وتنفست الصعداء عندما خرج من المصعد في الطابق الثاني عشر، وضغطت ميراندا على زر الطابق الواحد والعشرين باصبع مرتعش· كانت الآنسة مايو في انتظارها وخصتها بابتسامة وأومأت لها صوب الباب وهي تقول:

"تفضلي يا آنسة ميك"·

"وأطاعتها ميراندا ودخلت ثم أغلقت الباب خلفها في صمت· ورأته واقفا الى النافذة· وظنت لأول وهلة أنه لم يسمعها وهي تدخل· لكنه قال بدون أن يستدير اليها :

"اجلسي يا آنسة ميك"·

كان صوته الآمر يبدو طبيعيا لكن ذلك لم يبدد توترها · وجلست على أقرب مقعد وهي تقول:

"أرسلت في طلبي ياسيد ستيل"·

"نعم"·

وبلا تعجل عبر الغرفة وجلس على كرسي المكتب ونظر اليها ببرود وهو يقول:

"لماذا لم تخطرينا بتغيير عنوانك؟"

"تغيير عنواني؟ ··· أنا ··· أنا ···"

"من قواعد شركتنا أنه على كل - وأقول كل - الموظفين اخطار السجلات بتغيير مكان اقامتهم الدائمة٠"
"لكني لم أكن٠٠٠"
وتوقفت عن ادعاء أنها لم تكن تعرف وأخذت تنظر اليه في رعب، لم يكن حقيقيا أنها لا تعرف لكنها نسيت التعليمات التي أطلعوها عليها عند تعيينها٠ ومع ذلك نسيت رغم أنها عصرت ذهنها في الأسبوع الماضي لتذكر كل شيء٠ وقالت وهي تشعر بالذنب:
"أنا آسفة ياسيد ستيل٠ نسيت٠ سأذهب فورا الآن وأخبرهم٠"
ووقفت وهي تقول هذا لكنه رفع يده وهو يقول:
"لم أنته بعد يا آنسة ميك٠"
ثم غاصت في المقعد من جديد٠ لماذا يحدث لها كل هذا٠ وسألها:
"متى انتقلت للمسكن الجديد٠"
"يوم السبت الفائت٠ قضيت هناك خمسة أيام ونصف اليوم فقط فحسب٠ وأنا واثقة أني كنت سأتذكر وأخطر السجلات٠"
"أين يقع هذا المسكن٠"
"قرب ويلو غروف انه بعيد نوعا ما، لكنه جيد٠"
"كم غيرك هناك؟"
"لا أحد، انه مملوك لسيدة تزوج كل أبنائها وأصبح المنزل كبيرا بالنسبة اليها، وعندما كتبت لها ابنة أختها بأنها ستأتي الى لندن لتعمل بعد أن أنهت دراستها، فكرت السيدة سوندرز أن تحول جزءا منه الى شقة لابنة أختها، على أن تشرك معها فتاة أخرى٠"
"والشقة هل هي جيدة؟"
حسنا! انها مليحة جدا٠"
"أليس من المحتمل أن تجعلك تلجأين الى مكتبي في الطوارىء؟"

لم تستطع أن تواجه التعبير الذي بدا في عينيه وخفضت بصرها وهي تقول:
"لا أعتقد ذلك٠"
وضغط على زر جهاز الاتصال على مكتبه وعندما جاءه صوت السكرتيرة قال لها:
"سأنتهي خلال لحظة٠"
ثم نظر الى ميراندا وهو يقول:
"اذهبي الآن فورا الى السجلات حتى لا تنسي مرة ثانية٠"
وعاد له بروده ثانية٠ وفي غمغمة موافقة خرجت مسرعة ومضت من فورها الى السجلات، وهناك وجدت الرجل العجوز الذي كان يرافقها في المصعد فأعطته البيانات وسألها عن رقم الهاتف ثم شكرها قائلا ان هذا هو كل شيء لكنها ترددت لحظة ثم سألته:
"هل كان السيد ستيل غاضبا؟"
"السيد ستيل؟ غاضبا؟"
"عندما اكتشف أني لم أخبرك٠"
"ما الذي تتحدثين عنه يا آنسة، ان السيد ستيل ليس لديه وقت يبدده على أشياء مثل هذه٠"
"كلا، كنت فقط أتساءل اذا ٠٠٠ عندما ٠٠٠"
وكفت عن الكلام وخرجت مهرولة٠ وكانت مشغولة البال عندما عادت الى مكتبها، ولم تبال بنظرات الفضول من سوزان وزميلاتها الأخريات وسألتها سوزان:
"ما الذي كان يريده٠"
"لا شيء٠"
"لا شيء، اعتقدنا أنهم طلبوك الى الطابق الأعلى ليشنقوك على الاقل٠"
"أوه، لقد كان هناك بيان خاطىء في سجلي٠"
"وهل طلبك جاسون من أجل هذا٠"
"نعم، وان لم تصدقيني، اذهبي واسأليه بنفسك٠"

ولم يبد على أحد أنه يود تنفيذ هذا الاقتراح، ومن ثم استطاعت ميراندا أن تستأنف عملها • وحتى عندما عادت الى منزلها تلك الليلة لم تكن قد استطاعت أن تحل اللغز • فاذا لم تكن السجلات عرفت بانتقالها فكيف عرف جاسون •

* * *

كان ذلك السؤال يبدو بلا جواب • وفي يوم الاثنين التالي، قل توترها لغيابه • فقد جاءت الأنباء بأنه رحل في تلك السفرة المؤجلة الى اميركا، لكن التوتر بدأ يعود، فالباحثون عن الترقية لدى القيادة يوسعون سلطاتهم ويخططون لاستغلال هذا الأسبوع لتحقيق طموحاتهم الشخصية لكن لا شيء من هذا يعني ميراندا، كانت تحس بخواء المكان وغياب جاسون لم يغير من عملها شيئا • ومع أنها تدرك أن أسابيع يمكن أن تمر وهو في المبنى بدون أن تراه، أحست أن لغيابه وحشة وأن شيئا حيويا ينقصها •

وودت أن تقول لرينا عرضا:

متى سيرجع الرئيس؟ لكنها تعرف أنها لا تجرؤ على ذلك فرينا ما زالت تذكر ذلك الاستدعاء الى الطابق الأعلى الداعي للدهشة، والذي لم تشبع ميراندا فضولها نحوه • ولو سألتها فربما أجابت، حسب مزاجها، لكن الأرجح أنها ستلف وتدور حول ميراندا وتسألها عن سر هذا الاهتمام المفاجيء بحركات جاسون •

كانت ميراندا تتساءل دوما عن رينا وعن الاشاعات التي تدور عن علاقاتها برئيس الحسابات • كان رجلا جاف النظرات، صوته ناعم ان لم تلتفت تماما اليه وتركز فلن تفهم شيئا مما يقوله • كان كبيرا في السن، أكبر من رينا التي تخفي عمرها بحذر • كانت امرأة طويلة متوهجة، لها عينان سودوان غجريتان وفم واسع • وكانت تلبس ثيابا

مثيرة تحسدها عليها الفتيات رغم أنهن يتغامزن عليها من وراء ظهرها • وكان رئيسها هذا متزوجا، وزوجته تتردد كثيرا على الشركة لتصحبه الى المنزل •

وفي منتصف الأسبوع لم يكن لدى ميراندا وقت تفكر فيه في جاسون، ناهيك عن مناورات المكتب • وفي هذا الوقت انتشر وباء الانفلونزا بين العاملين وكانت رينا هي أول من أصيب، وعند وقت الغداء أرسلت هي وعدد آخر الى منازلهم •

وفي يوم الاربعاء كان عدد المكاتب الخالية أكثر من المشغولة، وفي نهاية الاسبوع كان عدد قليل فقط لم يصب لكن الناجين لم يحمدوا الله لأنهم اعتقدوا أن المرض كان سيعفيهم من العمل وبدأت الشركة في توزيع أعمال الغائبين •

وتطوعت ميراندا وسوزان للبقاء في العمل بعد مواعيده في ليلة الجمعة • لكن في الساعة الثامنة من ذلك اليوم اشتكت سوزان أنها تشعر بالمرض، وعرض راي ديسدون، وهو شاب لطيف التحق منذ أسابيع قليلة أن يوصلها للمنزل واعترضت سوزان لأن ذلك معناه ترك ميراندا وحيدة في القسم، وعندئذ عرض راي أن يوصل ميراندا هي الأخرى • لكن هذه رفضت لأنها تدرك أن راي يستلطف سوزان وربما كانت هذه هي الفرصة التي ينتظرها لاقامة صداقة معها، وقالت له عندما عرض عليها أن يرجع ليأخذها:

"كلا، اهتم بسوزان فقط، سأكتب هذه الرسائل ثم أضعها في صندوق البريد وبعد ذلك أرحل •"

وعملت لفترة طويلة لوحدها بعد أن رحلا، وما أن فرغت من آخر رسالة حتى تنهدت في ارتياح •

ونظرت الى الساعة فوجدت أنها التاسعة • فأخذت معطفها ولم تهتم باصلاح زينتها وحملت الرسائل معها • كانت معظم الطوابق غارقة في الظلمة فيما عدا أضواء قليلة هنا وهناك • وكان العاملون في التنظيف قد مضوا منذ مدة والحارس الليلي يقف عند مدخل المصعد، يتحدث الى رجل رمادي الشعر

تعرفه ميراندا بالشكل، وكان الكلب هناك، جالسا في هدوء وترقب... وحيت ميراندا الرجلين، وأحست أن الكلب يتبعها بعينيه وأنه يعرفها منذ تلك الليلة.

وأسرعت الى الشارع حيث يوجد في ركن منه صندوق للبريد... عليها أن تذهب غداً لشراء حذاء جديد وأشياء أخرى، وفي اليوم التالي يوم الأحد ستذهب لرؤية سوزان... كان صندوق البريد مملوءاً تماما، فقد سبقتها اليه الأقسام الأخرى واستطاعت ميراندا أن تحشر بعضاً من رسائلها، دون الرسائل الكبيرة وكان من الافضل أن تذهب الى مكتب البريد لكنه مغلق الآن، فحاولت من جديد. ووقعت منها بعض الرسائل فالتقطتها وبدأت في وضعها في الصندوق وأثناء ذلك غمرتها أنوار ساطعة أعشت بصرها وسمعت صوت فرامل واحتكاك اطارات سيارة بالارض. وصوتا يقول لها:

"هل انتهيت؟"

وتلفتت فرأت السيارة المرسيدس تقف بجوار الرصيف وجاسون ينظر من نافذتها. وأخذتها المفاجأة على غرة ولم تستطع أن تفعل شيئا سوى أن تومىء وأن تقول في فرح:

"لم أعرف أنك عدت."

"الم تكوني تعرفين، لابد أنك افتقدتني؟"

وانتابها الارتباك، وخفضت بصرها. فقال لها:

"اطلعي، سأوصلك للبيت."

وفتح لها الباب، وأخذت تحدق فيه وقالت:

"شكرا لك، ولكن..."

وجعلها خجلها تقف حيث هي، في حين كان ارهاقها يدفعها لقبول هذه الفرصة. وقال لها:

"لا تجادلي، كان يوما مرهقا كالجحيم."

وركبت في صمت، وانطلق بالسيارة دون أن ينطق بكلمة. لم يكن يبدو عليه أي شك حول الاتجاه الذي يسير فيه، وعندما غامرت بارشاده رد ببرود:

"اعرف ويلو غروف."

"أنا آسفة، ان هذا سيبعدك كثيرا عن طريقك."

"أنت لا تعرفين طريقي."

وعاد الى الصمت من جديد، ولم تغامر بالحديث. وعندما دخلت السيارة الى الطريق الطويل الذي تحف به الأشجار سألها جاسون:

"أي منعطف؟"

قالت ميراندا وهي تنظر أمامها:

"الثاني الى اليمين، المنزل الرابع."

ودار الى اليمين ووقف بنعومة ويسر أمام الباب الرابع. وقبل أن تأخذ حقيبتها وتستعد للنزول أوقف المحرك وأطفأ نور السيارة الداخلي الذي يضيء وجهها وقال لها بهدوء:

"ما بالك؟"

"لا شيء، شكرا لك على..."

فوضع يده على ذراعها وهو يقول:

"قلت لك ياميراندا، انه كان يوماً مرهقاً كالجحيم، ألا تذكرين، لا تجادلي."

"ليس لدي أي نية في الجدل. ولم أطلب اليك توصيلي."

فأغلق عينيه في نفاذ صبر وتنهد وقال:

"ألا تعرفين أن هذه الاعتراضات المهذبة هي أكثر أنواع الجدل حماقة واثارة للاعصاب؟ حسناً. أنت تريدين أن تكوني مهذبة وأنا أريد فحسب أن يغمر السيارة ظلام هادىء لأنزع من رأسي تلك الأصوات المزعجة التي تبعثها الطائرة النفاثة. أنا آسف، لم أقصد أن أكون فظاً."

"أوه، لكنني لم أكن أعرف أقصد، لم أفهم: هل جئت من المطار تواً."

"الواقع أنني وصلت منذ ساعتين."

وتأملته في صمت لبرهة، ورأت علامات الارهاق حول عينيه وفمه. وأحست بتعاطف طاغ معه، وودت لو تزيل

الارهاق البادي على وجهه، وقالت دون تفكير:
"لو كنت عرفت ذلك لما أتعبتك بتوصيلي، هل تريد بعض القهوة."
"هنا."
"نعم، ان اعدادها سيستغرق دقيقة فحسب."
وكان القلق واللهفة باديين في عينيها، وابتسم جاسون فجأة وهو يقول:
"فعلا أود الحصول على بعض منها."
"حسنا، هيا."
وابتسمت له وهي تأخذ حقيبتها وتسرع بفتح باب السيارة. وحمدت الله أن جان زميلتها في الشقة لم تصل بعد، كان الطابق الأرضي مظلما، لابد أن السيدة سوندرز في الخارج، وسارعت بفتح الباب وأضاءت النور وقالت له:
"مسكني في الطابق الاول."
ورأت نظراته تجوب المدخل بطلائه الأبيض وستائره الوردية والمائدة المصنوعة من خشب الورد التي تحتفظ بها السيدة سوندرز لامعة كالمرآة دائما. لكنه لم يعلق وتبعها الى الشقة التي بدت نظيفة ومنسقة تماما. وبدت الغرفة التي دخلها أصغر عندما وقف في وسطها وأوقدت النار وقالت له في حياء:
"اجلس لو تكرمت ياسيد ستيل، سأعد القهوة فورا. هل تود شيئا تأكله؟ ساندويشا او خبزا مقددا عليه شيء ما. أستطيع أن أعد لك عجة، فأنا غالبا أعد شيئا من هذا القبيل لنفسي، عندما أقضي وقتي داخل المنزل."
"لا تتعبي نفسك من أجلي باعداد شيء خاص، تكفي القهوة او أي شيء موجود لديك."
وذهبت الى المطبخ الصغير حيث وقفت برهة ثم انطلقت الى العمل الذي استغرق بلا شك مدة تزيد على الدقيقة لكن الصينية التي أعدتها بدت جذابة للغاية. كانت

فيها ساندويشات من اللحم وحلقات البندورة، وشرائح الخيار والبيض والبقدونس، ماذا لو لم يكن يحب الخيار؟ كان من الافضل أن تترك واحدا بلا خيار، ومن حسن الحظ أنها اشترت ذلك الجبن الفاخر. وترددت بشأن كعكة الكرز من الافضل ألا تقدمها، فهي لديها منذ عطلة نهاية الاسبوع الماضي. في أية حال فالرجال لا يأبهون بالحلوى ووضعت اناء القهوة على الصينية وحملتها الى حيث يجلس في غرفة الجلوس وعندما رآها قال لها:
"يا للسماء هل هذه حفلة؟ من سيأكل كل هذا."
"هل تريد القهوة بالحليب؟"
"كلا بدون حليب لو سمحت."
ورغم أنه منذ بضع دقائق قال أنه يريد القهوة فحسب، فقد أكل ثلاثة ساندويشات وعدة قطع من الجبن ولم تبد عليه الرغبة في الحديث، وجلست ميراندا صامتة ترشف قهوتها في هدوء. لكنه ما لبث أن قال بجفاء:
"أعتقد أنه لا توجد قواعد هنا تتعلق باستضافة الأصدقاء من الرجال."
"لا أعرف، فتلك أول مرة، لكنك رئيسي."
"وهل هناك فارق؟"
فأومأت برأسها وخفضت بصرها. كانت تحس أنها تحلم بوجود جاسون جالسا معها يشاركها وجبة أعدت على عجل. وبعد أن انتهى قال لها:
"لقد استمتعت بهذا، أعاد الي الحياة."
"أنا مسرورة."
وحملت الصينية والأطباق الى المطبخ، وهي تنوي العودة اليه سريعا لكنها وقفت تحدق في الأطباق. كم غريبة هي الطريقة التي تحدث بها. أشياء لا تخطر ببال الانسان. انها لم تكن تحلم حتى بهذا. انها لم تتوقف لتسوي شعرها او تصلح زينتها قبل أن تترك مكتبها، وودت لو أنها

كانت تلبس ثيابا أفضل من تلك التي كانت ترتديها . وتنهدت ونظرت لنفسها في مرآة صغيرة في المطبخ . من المشكوك فيه أن يكون جاسون لاحظ أو زاق له أن يلاحظ مظهرها ، اذ كان يبدو مرهقا للغاية وتنهدت ثانية وعادت اليه .

كان الصمت غريبا وعندما وصلت الى المدفأة أدركت السبب ، فقد بلغ الاعياء بجاسون حدا جعله يروح في سبات عميق . ونظرت اليه برهة متوقعة أن يفتح عينيه ، لكنه لم يفعل وعضت على شفتيها لتمنع كلمات كادت أن تنطق بها حتى لا توقظه . وجلست في كرسي آخر وكان من المستحيل ألا تتفحصه وهي لا تخشى الآن والنوم يلفه مواجهة نظراته الدخانية الرمادية او الطريقة الساخرة التي يلوي بها فمه قبل أن ينطق بتعليقاته اللاذعة . وأخذت تحدق في قسماته المحددة الواضحة التي تجذب اليها الناس جميعا بسهولة وهي تأمرهم - أو تخضعهم . انها قسمات تدل على قوة الارادة والسيطرة ، وتتسم بمغناطيسية خاصة لا يتردد في استخدامها لتحقيق أغراضه لكنه وهو نائم يبدو أصغر سناً ، وأكثر شباباً . وابتسمت لنفسها وقامت الى رف الكتب الموجود خلف مقعدها لتأخذ كتابا تقرأ فيه لفترة تتركه خلالها يستريح ، وبعد ذلك ستسير على أطراف أصابعها لتغسل الأطباق . وعندئذ ستوقظه أصوات الأطباق ولن يحس بالوقت الذي انقضى . وفتحت الكتاب وبدأت تقرأ . لكن الأمور لم تسر حسب الخطة . اذ وجدت أنه من المستحيل أن تصرف نظرها عنه وأن تركز على الكتاب ، زد على ذلك أن الأضاءة لم تكن كافية لتيسير القراءة . وأخيرا وضعت الكتاب جانبا وتركت لأفكارها حرية التنقل . أين يعيش؟ انه ليس متزوجا ... من يعنى به؟ هل لديه منزل كبير وعدد كبير من الخدم او يعيش في واحد من تلك الأجنحة الفاخرة حيث يكفي أن يضغط الجرس ليقدم اليه كل ما يحتاجه ، هل القصص التي تروى عنه حقيقية؟ هل هو زير نساء؟ ما هي الحقيقة حول ما يقال انه يبدأ في قطع

علاقاته بالفتيات فور أن يبد أن في التطلع الى الارتباط بهن؟ لكنهن يلاحقنه كما قالت رينا واذا لم يكن لديهن احساس كاف ليتعلمن القواعد التي يسير عليها ، فلا يلمن الا انفسهن اذا أصابهن منه أذى ، ولكن أي قواعد تلك؟ لا شك أن العلاقة الأخيرة كانت كاملة واستمرت طويلا ... علاقة حب لا نزوة للتنقل من فتاة لأخرى يعقبها انتظار قلب واحتراق عاطفة .

نامت ميراندا مع تعاقب هذه الأفكار وغيرها دون أن تدري ، سقط رأسها ومال على المسند ، في الوضع الذي نام به ستيل على الجانب الآخر من المدفأة ، لم تسمع صوت الباب في الطابق الارضي وهو يغلق ، فجدران المنزل ضخمة وسميكة تمتص الأصوات ، كما لم تسمع صوت سقوط المطر على النافذة ولا الريح العاصفة وهي تضرب الأشجار . وانزلق الكتاب ووقع على قدميها فأيقظها . واعتدلت في جلستها غير مصدقة وعندئذ رأت جاسون ينظر اليها ، ويتحرك وهو يقول:

"لماذا لم توقظيني؟ يا اله السماوات ، انظري الى الوقت يا فتاتي ."

"أنا آسفة . لم أدرك ... طواني النوم أنا ايضاً ..."

"نعم ، بالتأكيد . ان كرم ضيافتك يبعث السرور البالغ ، لكن هل تتركين ضيوفك دوماً ينامون؟"

"كلا ، لكنك كنت مرهقا للغاية . ولم يطاوعني قلبي أن أوقظك ."

"كان هذا كرما منك يا آنسة ميك ، وأنا أقدره لك ، لكني أخشى أن أسبب لك مضايقات ، خاصة بعد يوم العمل المرهق ."

"لا يهم ، فغداً السبت وأستطيع أن أنام حتى وقت متأخر اذا رغبت ."

وبدا كأنه يود أن يقول شيئا ، ثم غير رأيه . وأوما لها واتجه الى الباب وأخذ مفاتيح السيارة من جيبه . وأسرعت وراءه وهي تقول:

"من الافضل أن آتي معك، حتى أغلق الباب خلفك."

فتوقف وأفسح لها الطريق لتتقدمه. وسارت في صمت محاولة الحفاظ على الهدوء وهي تفتح الباب الزجاجي للردهة الخارجية. كانت السيدة سوندرز تهتم كثيرا بمسائل الأمن، ومن ثم وضعت بجوار القفل العادي رتاجين كبيرين. سحبت ميراندا الأسفل منهما لكن الأعلى كان متيبسا وأعلى من أن تصل اليه بسهولة. فتقدم جاسون لفتحه وأحدث الرتاج صريرا عنيفا وعندئذ قال جاسون وهو يهمس:

"ألم تسمع صاحبة المنزل عن زيوت التزليق التي تمنع هذه الاصوات."

وأحست ميراندا بالرغبة في أن تقهقه وبالفعل أفلتت منها ضحكة والباب ينفتح وابتسم جاسون بدوره، لكن بابا انصفق من خلفهما مما جعل ميراندا تتجمد في مكانها، وجاءهما صوت حاد من أعلى:

"من هناك؟"

ونظرت ميراندا الى أعلى بعينين مذعورتين، فرأت السيدة سوندرز وهي ممسكة شمعدانا وترتدي عباءة. وغمغم جاسون قائلا:

"ها قد وصلنا."

وردت ميراندا مضطربة:

"ان كل شيء على مايرام ياسيدة سوندرز انني ميراندا."

"أنت... لكن كيف دخلت، لقد أغلقت الباب من الداخل بنفسي و..."

"كلا.. نحن... ذلك هو السيد ستيل، انه خارج... أسفة اذ أزعجتك، لكننا..."

"خارج.. هل تعنين أنكما لستما قادمين؟ هل تعنين أنك أنت وهذا الرجل كنتما... كنتما تتسللان في هذا الوقت من الصباح؟ كيف تجرؤين؟ لقد رأيت السيارة الغريبة عندما جئت، لكني لم أكن أبدا..."

فقاطعتها ميراندا بعد أن أدركت ما ستقوله وهي تصيح:

"كلا، انتظري! أصغي، ان كل شيء على مايرام ياسيدة سوندرز أستطيع أن أشرح لك الموقف. ان السيد ستيل هو رئيسي في شركة كارونا ستيل. لقد أوصلني الى المنزل، وكان قد عاد توأمن..."

"أنا لا أبالي بمن هو، ولا من أين جاء ان وضعه بالنسبة اليك لا يهمني في شيء، وكذلك وضعك بالنسبة اليه، لكني أفضل أن يتم هذا خارج منزلي. ولا تحاولي أن تقولي لي انه كان لديكما عمل في هذه الساعة من الليل، لقد حذروني من المخاطرة بادخال غرباء في منزلي ولم أصدق. لقد صدمت فيك يا آنسة ميك. اعتقدت أنك فتاة لطيفة هادئة بعد الرواية التي حكيتها لي عن المكان الذي كنت تعيشين فيه، والطريقة التي نشأتك بها عمتك. أنا أشعر بالأسف من أجلك. لن أخدع ثانية، هذا مؤكد، ولن أنتظر حدوث هذا مرة ثانية. هل سيدخل الرجال ويخرجون من منزلي طوال ساعات الليل؟"

فهتفت ميراندا في ذعر:

"ياسيدة سوندرز أنت مخطئة تماما، أستطيع أن أشرح لك الأمر فقط اذا أنت..."

"لا أعتقد أن هذا ضروري. فكما قلت لك، ليس هذا من شأني. لكني سأطلب منك الرحيل، فأنا أخشى على جان ومن الخير أن ترتبي أمورك بأسرع ما تستطيعين."

وأخذت ميراندا تلهث، وغاص الدم في وجنتيها، وتقلصت معدتها من الآم الخوف. شقتها... شقتها الصغيرة اللطيفة. لا يمكن أن يكون هذا حقيقيا. عليها أن تجعل السيدة سوندرز تصغي اليها وأن تفهم. وتأهبت للتكلم، وأحست بيد جاسون تقبض على ذراعها وهو يقول بهدوء:

"لحظة فقط ياسيدة سوندرز."

"والتفتت اليه المرأة الغاضبة وهي كارهة فأضاف:

"ان تهمك ليست كريهة فحسب، بل وظالمة أيضا وليس لها أساس من الصحة. وفي أية حال، أؤكد لك أني سأضمن لك رحيل الآنسة ميك فلن أسمح لها بالبقاء بعد هذا."

قالت السيدة سوندرز وهي تحدق فيه:

"ماذا ؟"

وتأوهت ميراندا وهي تنظر اليه في يأس لتدخله غير المتوقع ونسيت ما كانت ستقوله اذ أحست بذراعه تلتف حول كتفيها وهو يشدها الى جانبه، ثم ما لبثت أن صعقت اذ سمعته يقول:

"الآنسة ميك ستتزوجني. واذا كان لديك شيء آخر تقولينه فعليك توجيهه الي أنا."

كانت هناك لحظة من الصمت المشدوه. واعتقدت ميراندا أنها تخيلت كل هذا، وأنها تحلم، ونظرت اليه علها تجد تأكيداً، لكن ذراع جاسون الصلبة حول كتفها لم تكن حلماً، ولا أمرا صارما أصدره اليها:

"لا تجادلي ياميراندا ولا تقلقي."

"لكن... لكن... أنا.."

"سأراك غدا، وسنتحدث عن ذلك حينئذ."

وتحت نظرات السيدة سوندرز المشدوهة، رفع ذقن ميراندا الى أعلى وعندئذ دفعها برقة وهو يومىء لها في اتجاه السلالم قائلا:

"حان الوقت لتنامي قليلا، هيا ياميراندا."

ولم تستطع أن تحول بصرها عن وجهه، ومشت بظهرها الى السلم وهي تشبه من يمشي أثناء النوم.

ونسيى كلاهما وجود السيدة سوندرز.

٤ - عشاء بلا شموع

عندما تسللت أشعة شمس اليوم التالي من خلال فتحة الستارة، نفضت ميراندا عنها أغطية الفراش، وجلست تفكر، ثم قررت أنها لابد كانت تحلم.

كانت الغرفة تبدو طبيعية تماماً، والساعة الموجودة الى جوار السرير منتظمة وغير متعجلة في دقاتها، وشعرت بالاحساس اللذيذ لعدم الاستعجال الذي يميز ايام العطلة.

اعتدلت على حافة سريرها ثم انزلت قدميها وبحثت بهما عن خفها وبدأت تقيّم في ضوء النهار البارد الأحداث التي لم تكن حلماً. هل ظلت مستيقظة معظم الليل، متسائلة عما دفع جاسون الى الادلاء بهذا البيان البالغ الغرابة الذي سمعته منه؟ وحدد عقلها عددا من الأسباب لذلك، بعضها مناف للعقل.

سمعت مرة عن رجل تزوج فتاة لا يكاد يعرفها لأنه كان عليه أن ينجب ليصبح له الحق في ميراث ما، لكن جاسون لا يبدو في حاجة الى مثل هذا الاجراء وسبحت في أفكار أخرى خيالية لكن لها طابعاً شخصياً رقيقاً مفرطاً في الرقة حتى أنها وبخت نفسها على مثل هذا التفكير - فكيف تتخيل أن جاسون من الطراز الذي يكتشف فجأة أنه ولهان بفتاة لا يكاد يعرفها، وهي فتاة يمكن أن نصفها، لو التزمنا المجاملة بأنها خجولة، تخفي مشاعرها ولا تظهرها، وأنها عضو غير هام في

ادارة الحسابات؟ كلا، هناك سبب واحد يصمد للدراسة المنطقية المطولة وهو أن جاسون صاحب دعابة من طراز فريد ولا يمكن التكهن بالظروف التي يطلق فيها دعابته.

حقا، لقد كانت الغلطة غلطتها. وكان عليها أن تعترف بذلك لنفسها لو لم يكن قلبها ضعيفاً لهذا الحد... وجاسون عنيف أولا وقبل كل شيء ومرن في الوقت نفسه، ولو لم يكن كذلك لما كانت له تلك السلطة في عالم الأعمال وتنهدت. ورغم كل هذا فللمحادثة ذكريات جميلة، وهي لا تستطيع أن تنسى قسمات وجهه وهو نائم، كان فتياً وجذاباً، على نحو غريب حتى أنها أرادت أن تلمس صدغيه بخطوطهما الفضية.

وانصرفت عن النافذة بقوة، وارتدت ثياب المنزل، كانت مثاراً للسخرية ربما كان يهزأ مما حدث الآن. لابد أنه يتوقع منها أن تشاركه هذه النكتة... نكتة كبيرة انهت مشاكسة السيدة العجوز صاحبة المنزل وأخذت تفكر وهي ماضية الى الحمام أن المشكلة الحقيقية هي اضطرارها لترك الشقة. اذا نحينا جانبا كل اللغو الذي قاله عن أنه لن يسمح لها بالبقاء، فانها لن تستطيع أن تعترف بالحقيقة عندما تحين لحظة شرح الموقف وحتى اذا لانت السيدة سوندرز وقالت لها أنها تستطيع البقاء، فان ميراندا لن تستطيع مواجهتها والاعتراف بأن كلام جاسون كان مجرد طريقة سريعة ومناسبة للتخلص من المأزق.

"ميراندا؟"

انتفضت واقفة كرد فعل لهذا الاستدعاء وفتحت الباب قليلا لترى السيدة سوندرز التي قالت لها:

"تصورت أنك لابد أن تكوني هنا. هناك مخابرة لك في الدور السفلي هل ستنزلين، أم آتي؟" أعتقد أنه خطيبك. لكنه لم يذكر اسمه، طلبك فحسب."

"سآتي."

واندفعت ميراندا الى الطابق السفلي متجاوزة السيدة سوندرز، وهي تحيط نفسها بمنشفتها الكبيرة، كانت

تطير وهي نازلة على السلالم، وقلبها يخفق بشدة وأنفاسها متقطعة وهي تهمس في الهاتف:

"نعم، أنا ميراندا ميك."

قال جاسون بصوت لا ينم عن شيء مما حدث في اليوم السابق:

"صباح الخير، هل حدثت مشاكل بعد رحيلي الليلة الفائتة؟"

"كلا."

"حسنا، والآن اسمعي ياميراندا. أنا في عجلة من أمري اليوم. لقد ألغى الرئيس ارتباطاته هذا الصباح وذلك حتى ألتقي به، ومن ثم فلن أستطيع الاعتذار عن عدم مقابلته. وسينضم والي امبروز الينا في الغداء، الأمر الذي يعني جلسة عمل ممتدة. أشك أنني سأفرغ قبل الثالثة. ربما بعد ذلك، ما الذي ستفعلينه اليوم؟"

"حالياً، ألتف بالمنشفة..."

"ماذا؟"

وقبل أن تستطيع الرد ضحك برقة وقال:

"هل أخرجتك من الحمام؟ خطر ببالي أنني ربما أخرجك من السرير، لا تقلقي، لن أحتجزك طويلا. سآمر عليك في السابعة... هل يناسبك؟"

وأومأت برأسها ثم أدركت أنه لا يراها فغمغمت بما يفيد الموافقة فقال لها:

"حسنا، الى اللقاء."

وضعت هي السماعة بدورها والتفتت لترى السيدة سوندرز تدور في الردهة مقبلة نحوها وهي تقول:

"لم أكن أعرف أنك مخطوبة له. لو عرفت لما تسرعت. لكنني ارتعبت عندما سمعتكما، في هذا الوقت المتأخر..."

"نعم أنا أدرك ذلك."

"أنا آسفة اذ كنت فظة، وأنت بالطبع تعرفين أنه ليس عليك أن ترحلي حتى... أعتقد أنكما تعدان المنزل حالياً."

وابتسمت السيدة سوندرز، وغمغمت ميراندا بشيء

غير واضح فقالت لها السيدة سوندرز:

"اذهبي قبل أن تصابي بالبرد وأنت تقفين في هذه الردهة التي تموج بتيارات الهواء".

وانتهزت ميراندا هذه الفرصة وهرولت وهي ممتنة، فقد كانت تتوقع كل أنواع الأسئلة الودودة: ما نوع الخاتم الذي قدمه لك؟ مانوع حفل الزفاف الذي ستقيمانه؟ متى؟ واين؟". ناهيك عن نصائح الصداقة. وانتابت ميراندا حالة اكتئاب عندما بلغت غرفتها، ليتها ما نطقت بتلك الدعوة في الليلة الماضية، فقد أرهقها التفكير في التفسيرات المربكة التي عليها أن تقدمها ان عاجلا أو آجلا.

وترددت طويلا في اختيار ثوب السهرة وفي السابعة تماماً سمعت طرقات على الباب. لم يعد هناك وقت لتغيير الثوب الأرجواني المصنوع من القطن. وأسرعت بفتح الباب، وتبدد قلقها وهي ترى نظرته الدافئة التي تجعل المرأة تحس أنها جميلة. ومنحته ابتسامة عذبة تتضمن دعوة غير متعمدة وقالت بحياء:

"سأحضر شالي".

كان قلبها يخفق بقوة وهي تنزل السلالم وتصعد في السيارة التي انطلقت بها بعيدا. وفكرت بينها وبين نفسها أنه من الحمق أن تشعر بكل هذه الاستثارة، بل ومن الحمق أن تضطرب كل هذا الاضطراب لأنه يخرج معها لمجرد أن يضحكا على ذلك التفسير الغبي الذي قدم الليلة الفائتة. والتفتت اليه فجأة وهي مستعدة لأن تفضي اليه بكل أفكارها لكنه سبقها بقوله:

"احس أني مهمل. أنك تبدين جذابة للغاية على نحو كان يحتم علي أن أحجز مائدة في مكان ما حيث تكونين متعة للناظرين".

وأفقدتها تلك المجاملة توازنها وجعلت شفتيها تنفرجان سرورا. ولكن روح التشكك عاودتها من جديد وتساءلت: هل سيأخذها ثانية الى ملهى الروتوندا الذي أخذها اليه من

قبل حيث يحيل تأثير الضوء أي ثوب عادي الى ثوب غير عادي ويحيل غير العادي الى شيء فوق العادي، وقالت:

"ان الروتوندا مظلم وداخن قليلا".

"كلا، لن آخذك اليه".

وفتح راديو السيارة، وغرق في الصمت، فلم يفصح عن خططه لقضاء الليلة لكنها لم تهتم، وقنعت بالاسترخاء في السيارة الفاخرة ومراقبة اضواء المدينة. ولم يمض وقت طويل الاودلف بالسيارة الى شارع سكني هادئ وتصورت أنهما في بايرن سكوير، ثم تناست الأمر والسيارة تقف أمام منزل مرتفع من طراز عصر الملك جورج له ست درجات تفضي الى بابه.

ونزل جاسون من السيارة ودار حولها ليفتح لها الباب، وأمسك بيدها ليساعدها على النزول، وقال ببساطة:

"فكرت أن نتعشى في البيت الليلة، حتى تكون لدينا الفرصة للاسترخاء والحديث بحرية".

وجفلت ... بيته! ونظرت الى أعلى الى واجهة المنزل الداكنة، غير مستقرة على ما يتعين عليها أن تقول في هذا الموقف وغير متأكدة من تلك النوافذ الغامضة ذات الستائر الغامقة التي لا تعطي أي فكرة عما يقع خلفها: هذا هو منزل جاسون ستيل.

وقبل أن تقرر شيئا، انفتح الباب ورأت امرأة تقف وخلفها ضوء كهرماني، كان وجهها هادئا يبعث على السرور، وأحست ميراندا بالارتياح وهي تسمع السيدة تقول:

"مساء الخير ياسيد ستيل".

قال لها جاسون وهو يرفع شال ميراندا عن كتفيها:

"بعد حوالي عشر دقائق ياليبي".

وأومأت ليبي وهي تأخذ الشال منه.

وفتح جاسون بابا الى يسار ردهة طويلة وأشار الى ميراندا أن تدخل ودخلت فوجدت نفسها في غرفة دافئة فيها رفوف كثيرة مليئة بالكتب، وسجاد تركي أزرق وكراسي جلد ذات

مساند ومكتب قرب نافذة طويلة عليه صينية فضية وأقداح كريستال وإناء مليء بالفاكهة، لم يكن طراز الغرفة كما تخيلته ولا ما توقعت أن تجده لديه. ولو ترك لها تحديد الصورة بناء على فكرتها عن شخصيته لتوقعت شيئًا شبيها بغرفة مكتبه في الشركة. كانت هناك صورة مرسومة بالزيت وفي اطار سميك فوق المدفأة صورة رجل قوي الملامح، يشبه جاسون تماماً رغم الياقة العالية لبذلته التي تنتمي الى طراز عصر الملك ادوارد. ولما رأى جاسون اتجاه عينيها قال لها:

"انه جدي، لم يشأ والدي أن يضع صورته في غرفة مجلس الادارة، اذ كان طاغية."

بقيت واقفة قرب المدفأة تحتسي الشراب الذي قدمه لها، وبدأ التوتر ينتابها وطرأت على ذهنها فجأة فكرة... بل اعتقاد بأنها حمقاء.

وغاص قلبها. اذ أفرطت في اعتبار أمور كثيرة أشياء مسلماً بها. ربما كانت نيته هي أن يصطحبها لتناول بعض الشراب فحسب لمدة نصف ساعة تقريبا، أو ما يكفي للتنصل من ذلك الالتزام المليء باللغو... واستيقظت من أفكارها على قوله:

"ما لك تبدين كأنك اكتشفت حقيقة مؤلمة."

"ربما حدث هذا فعلا."

"لو كان الشراب لا يعجبك فسأحضر لك غيره."

"كلا انه لذيذ."

"كنت تفضلين لو أني لم أدل بهذا التصريح المتعجل نوعاً ما في الليلة الفائتة، أليس كذلك؟ وأنت تخشين الاعتراف بهذا."

من المشكوك فيه أن سؤالا آخر أيا كان يمكن أن يسبب لها ذلك القدر من الارتباك الذي سببه هذا السؤال. وبذلت مجهودا لتبدو هادئة واعتقدت أنها نجحت عندما تحركت الى الأمام وادعت أنها تتأمل تمثالا صغيرا من العاج.

وخلال تناول الطعام، أبقى جاسون الحديث في

[illegible]ق موضوعات غير شخصية وقامت ليبي بالخدمة بمهارة [illegible]رت اعجاب ميراندا. وتساءلت عن عدد العاملين في [illegible]نزل، أم أن ليبي هي الوحيدة. وواتاها انطباع بأن جاسون [illegible] يفضل وجود عدد كبير من الناس في منزله عندما يكون [illegible] وهو وقت قصير، فهو في معظم أيامه على سفر.

وحينما جاء وقت تناول الحلوى اكتشفت أن جاسون مغرم [illegible]ن وانه يجمع تحفا شرقية، خاصة من حجر اليشم والعاج، [illegible] له ذوقا رفيعا في الموسيقى وان كان لا يعتبر نفسه خبيراً [illegible]. ودار الحديث بينهما في موضوعات شتى أخبرها خلالها [illegible] عضو في مجلس ادارة ملجأ للايتام في ميدلاندز واختتم [illegible] قائلا:

"[illegible] فضلك لا تقولي يا للصغار المساكين."

"[illegible] يكن في نيتي أن أقول ذلك. هل هذا الملجأ في المدينة [illegible] في الريف؟"

"[illegible] يبعد نحو خمسة أميال من ميلبرو في قصر قديم لأحد [illegible] المالكين. وهناك عدد من الأولاد يعيشون في المزرعة."

"[illegible] تتردد على المكان كثيرا؟"

"[illegible] لو عندي وقت أطول لذلك، لكن هذا مستحيل."

"[illegible] لم تسنح الفرصة للتعرف على الأطفال؟"

وسحب قدح شرابه بقسوة وهو يقول:

"[illegible] لدي وقت للنظر الى الأطفال نظرة عاطفية، اذا كان [illegible] ما تقصدينه، ان الوقت الذي أكرسه لهم أخصصه لأمور [illegible] بالناحية الدنيوية أكثر من غيرها فهي تتعلق بالجانب [illegible] الملجأ."

[illegible] بمنديل المائدة بعنف فخرجت بانطباع أنه يأسف [illegible] الموضوع، ثم قال:

"[illegible] ستقدم القهوة في غرفة الجلوس... هلا ذهبنا هناك؟"

[illegible] بدون أن تنطق بكلمة، ان قوله الواضح هذا حدد [illegible] في العواطف، مما جعلها تصبح أكثر صلابة في مواجهة [illegible]. وقررت وهو يريها باقي الغرف أن تبقى بعيدا

عن طريقه مستقبلا . ان ذلك صعب، فطريقه يلتقي بكل طرقها، ربما تضافرت الظروف مرة أخرى لتخلق موقفا يشبه حضورها هنا الليلة . تبينت كل أخطار الاقتراب منه . انه من الحمق أن تدع نفسها تسقط في حب جاسون ستيل من دون الرجال جميعا .

لقد تأخر قرارها لكن ذلك لا يهم، واتخذت مظهرا دفاعيا ورفعت رأسها متباهية وهي تدخل الباب الذي أشار اليه. وسارت في الغرفة الواسعة التي تمتد بطول الطابق الأرضي، وراقت لها هذه الغرفة ووقعت من نفسها موقعا حسنا . كانت الجدران بيضاء والآثاث بلون بني وعنبري، والسجاد بلون العسل يمتد من الحائط للحائط، انها من طراز الغرف التي تثير احساسا بالدفء والترحيب والراحة . وذاب قرار ميراندا وهي تغوص في أحد الكراسي ذات المساند . وجاءت ليبي بصينية القهوة، وابتسمت لميراندا ووضعتها على مائدة منخفضة، ثم خرجت . وأشار جاسون الى الصينية وهو يقول لميراندا :

"هيا، تلك مهمة يقوم بها ضيوفي من النساء دوما . وأنا أفضل القهوة بلا حليب او سكر ."

"أذكر هذا ."

وتقدمت الى الصينية، لكنها كانت ما تزال تتأمل التحف في الغرفة الفاخرة، فقال لها وهو يتابع نظراتها :

"القهوة أولا، إن تأثير هذه الغرفة لا يخيب أبدا ."

"هل تعني أن الجميع يعجبون بما فيها خاصة ذلك المعبد الشرقي الطراز ."

"انها احدى شراكي . ولدي شراك أخرى كثيرة وضعتها في أماكن استراتيجية من الغرفة ."

"حقا . هل تحتاج الى شراك ياسيد ستيل؟"

"من منا لا يحتاج اليها، على الاقل مرة في حياته ."

وأراها عددا من التحف، وفي أثناء ذلك تذكرت سؤالا كانت تود أن تسأله فقالت:

"كيف عرفت أني انتقلت من سكني؟"

"نعم . في ذلك الأصيل حين أرسلت تطلبني، لأني لم أخطر السجلات بذلك ."

"أوه . . . أردت الاتصال بك هاتفياً في منزلك القديم، وردت واحدة اسمها الآنسة فاندا وقالت لي أنك لم تعودي تسكنين هناك ."

"هل أردت الاتصال لشيء هام؟"

"نسيت الآن . . . ربما أردت أن أرسل لك فاتورة الفندق تلك ."

"لكن ذلك كان بعد أن قدمت لك . . ."

وتوقفت فجأة وهي ترى ومضة سرور في عينيه وقالت:

"تريد مزيدا من القهوة"

قاوما ومد يده بالفنجان الفارغ، فلم تجد بدا من الذهاب اليه .

وتجنبت النظر في عينيه وهي تأخذ الفنجان، واخفقت فرددت:

"لا تريد القهوة؟"

"كلا . . ."

"لكن هل يضايقك أن أشرب قهوتي؟"

فرد بسخرية وهو يطلق سراحها :

"أنت ضيفتي . . ."

وسارت الى مكانها وهي ترتعش وهو يرقبها من تحت جفونه الناعسة المتكاسلة، وملأت الفنجان وأخذت ترشفه كأن ذلك كل ما يعنيها في الوجود وعندما انتهت قال لها بهدوء:

"لكن هل أفهم أنك لا تريدين الزواج مني؟"

وباحساس الصدمة أدركت أنها ما تزال ترتعش داخليا، وأن الرغبة التي أثارها فيها في أوائل تلك الليلة لم تخمد بعد . لقد أفزعها عجزها وجعلها خجلى وفكرت في أن تواجه ذلك بالتشبث بقرارها وببرودها فقالت:

"لا أعتقد أننا في حاجة الى المضي في هذه المهزلة . كانت حركة ماهرة وتحققت الخدعة . ومن ثم فلن أحاول الابقاء عليك في الفخ ."

"لم أكن أدرك أني في فخ. لقد تعلمت كيف أتجنب الطعم السام منذ وقت طويل مضى، ياصغيرتي."

انهارت قدرتها على التحدي، فحولت بصرها بعيدا وهي تقول:

"لم أقصد ذلك على وجه الدقة. كان الأمر مجرد شيء من تلك الاشياء التي تحدث عندما ..."

لكنها لم تدر كيف تكمل كلامها خوفا من المضي في حماقاتها، وتدخل جاسون قائلا:

"لا أعتقد أنك واثقة مما تقصدينه. أعتقد أن قليلا من الموسيقى قد يصلح الأمر. ماذا تحبين؟ توم جونز او سترافنسكي."

وأبدت حركة يأس كما يفعل من لا يستطيع أن يقرر. وابتسم جاسون بسخرية وهو يمضي الى الجهاز في الركن قرب النافذة، وأداره. وانسابت في الغرفة موسيقى رائعة من أميركا اللاتينية. وسار جاسون بعد ذلك بهدوء الى حيث أضاء المزيد من مصابيح الغرفة مما أكسبها دفئا جديدا والفة حميمة. وتوقفت خطواته الناعمة وراء الكرسي حيث تجلس فتصاعدت دقات قلبها حتى طغت على الموسيقى. وقال لها في هدوء:

"ان تلك الموسيقى معروفة بأنها تمهيد للمسرح."

"أدرك ذلك، لكني لم آت هنا للاغواء."

"انا مدرك هذا تماما."

ودار حولها ونظر في عينيها النجلاوين، كان خداها شاحبين، لكن التصميم كان باديا على وجهها. وقال لها:

"انا ادرك أيضا أني أوقعت نفسي هذه المرة مع احدى الحوريات. ولذا ..."

واستدار دون أن يكمل جملته، وأخرج سيكارة من صندوق من الأبنوس اللامع، واشعلها ثم استطرد قائلا:

"على النقيض من أي شيء يمكن أن تكوني قد سمعته عني فاني لم ألجأ أبدا الى إغواء ضحايا لا يردن ذلك. ولذلك

اقول لك أن أمسيتنا كانت لطيفة وعندما تشائين اصحبك الى بيتك."

وأخذ يدخن سيكارته باستمتاع وهي ترقبه فظن أنها تريد سيكارة، فقال وهو يقدم الصندوق لها:

"آسف أني لم أقدم لك سيكارة، سامحيني."

"كلا، أنا لا أدخن."

"انك فتاة عاقلة. اني أكف عن التدخين كل صباح ثم أعود اليه في المساء."

"ذلك أفضل مما لو كنت تفعل العكس بان تبدأ صباحا وتكف مساء."

"نعم بالتأكيد. ولكني أحتال وأدخن سيكارة عرضا أثناء النهار."

"ان التوقف عن العادات السيئة التي يستمتع بها الانسان، أمر صعب، أليس كذلك؟ وأعتقد أنه قد آن الأوان لكي..."

قالت ذلك وهي تتحرك الى الباب ايذانا برغبتها في الرحيل، فقال لها:

"بالطبع."

وسارع باطفاء السيكارة في المنفضة وهو يقول:

"سأصحبك الى البيت."

وتوقفت عند الباب في انتظاره فلحق بها وهو يقول:

"هناك شيء آخر، اني أريد حقا أن أتزوجك."

٥ – جاسوس؟

لم تدر كم من الوقت مضى وهي واقفة هناك وطلب الزواج منها الذي أبداه جاسون يتردد صداه في عقلها حتى حطم جاسون نفسه الصمت بأن قال ببرود:

"أعتقد أنك تحتاجين الى شراب قبل أن تورطي نفسك".

وبدأت تتنبه للموسيقى التي كانت ما تزال تصدح، وقالت لنفسها لابد أن التسجيل طويل. ورأته يتحرك ليحضر لها شراباً، وعادت الدوامة الى ذهنها من جديد. جاسون يريد أن يتزوجني! لكنها لا تكاد تعرفه وهو لا يكاد يعرفها. ومع ذلك طلب هذا. لم يكن ذلك من تخيلها كيف يأتي الحب سريعا على هذا النحو. هل داهمه الحب كما داهمها؟ لانها خلال لحظات من لقائه أدركت أنها وقعت في حبه، وأصبحت تعيش في عالم خاص بها وبجاسون. جاسون! وليس السيد ستيل.

وجاء اليها ووضع قدح الشراب المثلج في يدها. وأحست أن سحره توقف بل حتى لم تكن له تلك النظرة المتحدية ولا ذلك الاغراء الساحر الذي كان يحضها على الغزل معه منذ لحظات مضت... وهمست:

"هل أنت جاد؟"

"لأقصى حد".

"لكن كيف تستطيع أن... ما الذي يتعين على أن أقوله؟

"احدى اجابات ثلاث. وهي الاجابات الثلاث الوحيدة

وهي: نعم، لا، لا أعرف".

وزاد كلامه هذا من ارتباكها فقالت:

"لكننا... لا نكاد نعرف بعضنا البعض".

"ذلك أمر يسهل علاجه، ما الذي تريدين أن تعرفيه ياميراندا".

وتنهدت في يأس وهي تحاول الاحتفاظ برباطة جاشها أمام ثقته في نفسه التي لا تهتز وهي تقول:

"الأمر ليس بهذه السهولة ياسيد ستيل. فالعاقلون لا..."

"لندع التعميمات الغامضة، ودفاعك الأحمق، ولكن هذه آخر مرة، تنادينني فيها بالسيد ستيل".

"لكنك... لا أستطيع أن أكف عن التفكير فيك باعتبارك السيد ستيل وأنت لا تعرفني، ليس بالدرجة الكافية لكي تتزوجني".

"ان ذلك يجعل الأمر أكثر اثارة ألا تريدين أن تتزوجي؟"

"بالطبع أريد، لكن..."

"ألا تريدين منزلا خاصا بك؟"

وأومأت وهي تنظر لأسفل، فسألها:

"وأطفالا؟"

فردت بصوت خافت:

"لا أتخيل الزواج بدونهم".

"اذاً، فستحتاجين الى رجل".

"نعم. لكني أريد الحب وعلاقة دائمة".

"نعم، أوافقك على هذا. سأكون أمينا معك ياميراندا. أعتقد أن الفكرة القديمة الشائعة عن علاقة واحدة دائمة ومثالية بين رجل وامرأة مقضي عليها بأن تذبل ان عاجلا او آجلا. لأنه كيف يكرس انسان حياته ومستقبله كليهما لشخص واحد؟ من المستحيل ان نعرف ما سيحدث في الأربع وعشرين ساعة المقبلة ناهيك عن الأربعة وعشرين عاما التالية".

"لكن ذلك هو نفسه، السبب الذي علينا أن نحاول. ألا

تعتقد هذا؟ وبسبب هذا يتعين أن تفعل شيئا يدوم، شيئا تستند اليه اذا انهار كل ما عداه."

"هكذا نعود الى الأساسيات القديمة، الحب والثقة."

ومد يده. ورغما عنها تقدمت اليه. وسألها بنعومة:

"هل لديك أي سبب خاص يدفعك لعدم الثقة بي."

ونظرت اليه لحظة ثم خفضت بصرها ولاحظ هزة رأسها التي لا تكاد تلحظ، وعندئذ وضع يديه على كتفيها، وانتابتها رجفة للمسته فشدد قبضته وهو يقول لها:

"أعتقد أنك تحبينني فعلا، لكنك لا تريدين الاعتراف بهذا."

وآلمها هذا الافتراض الذي قاله ببرود، فبعدت عنه وهي تقول:

"كلا: ولن أعترف بذلك، ولن أستطيع أن أتزوجك. ولابد أن تعرف أن هذا لن يجدي، فنحن لا نكاد نعرف أحدنا الآخر. أنا... أنا لا أعرف لماذا تريد ذلك؟"

"لأني أريدك."

"تريدني؟ هل تقصد أنك تريد فحسب..."

"أقصد أني أريدك، وأنا على استعداد للزواج بك."

"هكذا فحسب، بدون حب."

وبان في عينيها النجلاوين التحرر من الوهم على نحو جعل عينيها تبدوان كبيرتين في وجهها الشاحب. وقال لها بهدوء:

"انس موضوع الزواج حالياً ودعينا نتساءل ها، أنت مستعدة لاقامة علاقة معي."

"كلا."

"لماذا؟"

فكررت كلامه بسخرية:

"لماذا؟ هكذا هل لديك فكرة كيف يبدو اقتراحك وحشياً؟"

"كلا، أفهم أن تقولي أنه اقتراح متعمد، انما وحشي لا."

وأحست بالألم يعصف بقلبها، وأن يديها مثلجتان رغم

.فء الغرفة وشبكتهما معا لتوقف ارتعاشهما وهي تقول بعناد:

"لا أرى فارقاً، لا أريد هذا النوع من العلاقات."

"هل أنت خائفة؟"

"نعم."

"مني؟"

"من كل الاشياء التي تخشاها فتاة."

"لست في حاجة الى الخوف، فسأرعاك، أعدك بذلك."

وران عليها الصمت الكثيف الذي أعقب ذلك حتى كاد يزهق أنفاسها وأحست أن شفتيها متيبستان وأن دم الحياة غاض منهما، وبذلت كل جهد ليبدو صوتها طبيعيا وهي تقول:

"أنا واثقة أنك مخلص تماماً، لكن ألا ترى أنك تجعل الأمر يبدو مستحيلا أكثر فأكثر؟ أنت... أنت تستطيع أن تحدد للزواج بنوداً كالبنود التي تحدد في طلبات الشراء، أنت تريدني، ومن ثم فأنت سترعاني؟ هل تعتقد أنك تستطيع شرائي."

"لم أقل شيئا عن الشراء أو العطاء. ومهما كانت الزاوية التي تنظرين الى الامر منها، فان الصلة الغرامية ياميراندا هي علاقة متبادلة."

"الصلة الغرامية، تقصد أنك عندما تفور بك الرغبة..."

فقاطعها وهو متوتر:

"ماذا تريدين من صلة غرامية."

"قلت لك اني لا أريد صلة غرامية هل تدرك أن ما تقترحه ينسف كل شيء هام. كل حنان، كل مودة بل كل ما يمكن أن يدعم غراماً حقيقياً. لابد ان يكون هناك ود واحترام متبادلان. انك لا تستطيع أن تخطط لأي علاقة. ان رعاية انسان ما تعني حمايته فكيف يمكن أن تحميه من الأذى الذي ستوقعه أنت نفسك فيه؟"

كانت ترتعش عندما انتهت من انفجارها هذا، حتى انها لم تسمع خطواته التي أوصلته لجوارها. وعندما أمسك

كتفيها ارتجفت وحاولت أن تفلت من قبضته، لكنها لم تفلح، وقال لها:

"أوه، كلا. ما كان يجب أن تقولي هذا. انتهيت من خطبتك والآن سأقول خطبتي، أنت لا تصدقين أني أستطيع أن أحب، وأن ينبض قلبي وأن أبدي ودا، أنت تفضلين أن تتوقعي مني الأذى. انظري الي. انظري الي."

ورفعت رأسها الى اعلى ونظرت الى قسماته الساخرة، فهمس لها:

"هكذا، أنت لا تصدقين أني أستطيع أن أكون حنونا."

لم تعرف اللحظة التي حدث فيها التغير السريع، وأحست أن عظامها تحولت الى ماء، وأن أطرافها ذابت. وأخيرا غمغمت وهي تحس أنها لم تعد تستطيع الاحتمال. وبعد ذلك بفترة مرت ثقيلة كأنها دهر تراجع للوراء وهو ينظر في عينيها وفي نظراته بريق الانتصار، وهمس لها:

"هاللو، ميراندا ميك."

ولم تستطع أن تتكلم، واكتفت بأن تتنهد وتخفض رأسها. كانت أجراس الانذار الخاصة بالفريزة قد خمدت الآن، لكنها ما زالت تحذرها بأن عليها أن تستعيد السيطرة على نفسها، وأن تفعل شيئا ازاء وضع يخرج عن سيطرتها سريعا. لكن ماذا تفعل...؟ انها لم تعرف أبدا رجلا مثل جاسون ستيل، وقالت بصوت بدا لأذنيها صادرا من بعيد:

"أعتقد انه من الأفضل أن أذهب."

فجذبها اليه وهو يقول برقة:

"أعتقد انه من الأفضل أن تتزوجيني."

* * *

وبعد ذلك بثلاث ليال سألها وهما جالسان يطلان على النهر:

"أين تريدين أن نذهب في شهر العسل؟"

"لا أعرف."

واخذت تحدق في الأضواء التي تنعكس على صفحة النهر وهي تتساءل متى تفيق من هذا الحلم الذي تعيش فيه منذ أن عرض جاسون عليها الزواج. انها ستتزوج جاسون ستيل، خلال ثلاثة أسابيع. وحتى الآن ما زال الأمر سرا. فتلك رغبته وقد استجابت اليها عن طيب خاطر. لقد بذلت جهدا كبيرا حتى لا تعلن الخبر. فقد قال لها في تلك الليلة التي لا تنسى:

"آمل أن تكوني مستعدة للطوفان الذي ستواجهينه عندما يعرف الخبر في المكتب."

فحدقت فيه وهي لا تدرك مرماه، لأن المكتب كان بعيدا عنها في تلك اللحظة فأضاف بنفاد صبر:

"من الواضح أنك لم تعملي في مشروع كبير لمدة طويلة. ان الأقاويل لن تتوقف وأنا لن يهمني ذلك في شيء، لكنهم لن يرحموك."

وحينئذ طافت بخاطرها رينا هارفي، وأدركت أن جاسون بعيد النظر. ان المسألة لا تحتاج الى قدرة على التخيل لتصور رد الفعل عندما يعرف الخبر. كما لا يتصور أحد أن جاسون سيظل بمنأى عن هذا الخبر في برجه العاجي. وفكرت أن تغيظه بقولها أنه يخشى الحكايات التي سيروونها لها عن ماضيه، لكن شيئا ما في تعبير وجهه الجامد جعلها تظل صامتة.

وهب النسيم فحرك سطح ماء النهر برقة، مشتتا انعكاس الأضواء واستقرت نظرتها على يديه وأصابعه. وعندما سألها مرة ثانية عن المكان الذي كانت تود أن تذهب اليه، قالت بصورة غريزية:

"أكابولكو."

وتقلصت أصابعه على القدح وأوقف تحركه، وارتفع حاجباه دهشة وهو يقول: "أكابولكو؟"

وأدركت سخف اجابتها، فسارعت بالقول.

"كلا، لم أقصد ذلك، انس الموضوع، لقد كنت حمقاء."
"ما الذي جعلك تقولين هذا؟"
"لا أعرف، ولا يهمني أين نذهب طالما الشمس مشرقة."
"حسنا، انها تشرق هناك ببهاء، لم لا؟ سأحجز غدا."
"لكنك قلت انك تستطيع أن تأخذ اجازة أسبوعاً فحسب. والذهاب الى هناك يستغرق يوماً للذهاب ويوما للرجوع. ولا يمكن أن نقطع كل هذه المسافة للبقاء أربعة أيام فحسب."
"لم لا؟ لقد ذهبت الى مدى أبعد لمدد أقل."

وفكرت في السبب الذي دفعها الى ابداء هذا الاقتراح وتساءلت هل تذكر هو أيضا المناسبة نفسها وقالت في وهن:

"ان ذلك سيكلف كثيرا، أعني أنه عندما يكون الأمر متعلقا بالأعمال فانك مضطر للسفر مسافات بعيدة. لكن ذلك لا ينطبق على الوضع الذي يكون لنا فيه الخيار... ولا شك أن الرحلة ستكون مكلفة."
"لكنها مناسبة خاصة، اليس كذلك؟ أم أن ذلك يعتبر حالياً من مخلفات الماضي؟"
"بالطبع لا. لكني لا أريدك أن تظن أني غير معقولة لمجرد أني أجبت برد أحمق على سؤال جاد. أقصد، عندما يكون لديك مثل هذا الوقت القصير. سأكون سعيدة أن أبقى هنا أياما قليلة على الشاطىء في ديفون او كورنوال، او ننتظر حتى تخف التزاماتك ونؤجل الزفاف حتى تحين اجازتك."
"لم أحظ باجازات لمدة عامين ولابد لي أن أوبخك ياميراندا للاسباب التالية: أولا أنا أعتقد أنك غير معقولة فعلا ولكن لا لأنك تريدين الذهاب الى أكابولكو من دون البلاد جميعها لقضاء شهر العسل. ثانيا، لا أكون سعيدا ببضعة أيام في ديفون او كورنوال اذ أفضل أن أكون بعيدا عن متناول التليفون لبضعة أيام. انهم سيفكرون مرتين قبل أن يجروني عائدا عبر الاطلسي، لكن في أي مكان آخر في الداخل... كلا سأكون في متناول أيديهم. ثالثا، ان الاجابة بالنفي

الاكيد على طلب التأجيل... انا دائما أكره انتظار أي شيء أريده."

عضت على شفتيها ونظرت الى أسفل. فلا جدال في الطابع العملي لتفكيره انه لم يخف رغبته فيها، ولن تكون امرأة اذا لم تفض أحاسيسها سرورا ورضى لدى معرفتها بهذا الأمر. لقد اختارها من دون البنات جميعا وطلب منها أن تتزوجه. وتجاهلت تماما الغرض البديل وهي أنها ذهبت اليه بشروط، كما تجاهلت التفكير فيما كانت ستؤول اليه الأمور لو أنه حاول اغواءها بدلا من طلب يدها غير المتوقع هذا. ففي الوقت الحاضر يكفيها أن تكون في حالة الحب المدهشة هذه مما ييسر عليها تبديد أي شكوك. وسألها:

"هل أخبرت أحدا؟"
"كلا، ولا حتى سوزان. فقد اتفقنا على ألا ننبس ببنت شفة الى أن تعود من رحلة موسكو."

وأومأ برأسه قائلا:

"هل أنت واثقة من رضاك عن خطط الزفاف. فالاسبوع المقبل سيكون الوقت قد فات لتغيير الرأي."

قالت وهي تدرك أنه يشير الى قرارهما بعقد قران هادىء:

"أنا واثقة تماماً."

لو كان لها والدان وقدر كبير من المعارف، لكان الأمر يختلف، وكان جاسون أيضا يريد زفافاً هادئاً. وذلك لأن معارفه كثيرون الى حد أن دعوتهم جميعا ستصبح مشكلة، فربما انتهى الأمر بدعوة نصف سكان لندن. وسيشكل هذا عبئا أكثر منه مصدرا للمتعة، خاصة وانه سيعود من موسكو قبل الزفاف بأربعة أيام. وميراندا عليها تدبير الأمور الخاصة بها، لذلك اتفقا على حفل صغير هادىء يضم عدداً محدوداً من الأصدقاء المقربين، يقام في بيت جاسون قبل رحيلهما الى المطار بما لا يزيد عن نصف ساعة، يستطيع المدعوون بعدها أن يبقوا ليتناولوا ما يشاؤون.

"كلا، لم أقصد ذلك، انس الموضوع، لقد كنت حمقاء."
"ما الذي جعلك تقولين هذا؟"
"لا أعرف، ولا يهمني أين نذهب طالما الشمس مشرقة."
"حسنا، انها تشرق هناك ببهاء، لم لا؟ سأحجز غدا."
"لكنك قلت انك تستطيع أن تأخذ اجازة أسبوعاً فحسب. والذهاب الى هناك يستغرق يوماً للذهاب ويوما للرجوع. ولا يمكن أن نقطع كل هذه المسافة للبقاء أربعة أيام فحسب."
"لم لا؟ لقد ذهبت الى مدى أبعد لمدد أقل."
وفكرت في السبب الذي دفعها الى ابداء هذا الاقتراح وتساءلت هل تذكر هو أيضا المناسبة نفسها وقالت في وهن:
"ان ذلك سيكلف كثيرا، أعني أنه عندما يكون الأمر متعلقا بالأعمال فانك مضطر للسفر مسافات بعيدة. لكن ذلك لا ينطبق على الوضع الذي يكون لنا فيه الخيار... ولا شك أن الرحلة ستكون مكلفة."
"لكنها مناسبة خاصة، أليس كذلك؟ أم أن ذلك يعتبر حالياً من مخلفات الماضي؟"
"بالطبع لا. لكني لا أريدك أن تظن أني غير معقولة لمجرد أني أجبت برد أحمق على سؤال جاد. أقصد، عندما يكون لديك مثل هذا الوقت القصير. سأكون سعيدة أن أبقى هنا أياما قليلة على الشاطىء في ديفون او كورنوال، او ننتظر حتى تخف التزاماتك ونؤجل الزفاف حتى تحين اجازتك."
"لم أحظ باجازات لمدة عامين ولابد لي أن أوبخك ياميراندا للاسباب التالية: أولا أنا أعتقد أنك غير معقولة فعلا ولكن لا لأنك تريدين الذهاب الى أكابولكو من دون البلاد جميعها لقضاء شهر العسل. ثانيا، لا أكون سعيدا ببضعة أيام في ديفون او كورنوال اذ أفضل أن أكون بعيدا عن متناول التليفون لبضعة أيام. انهم سيفكرون مرتين قبل أن يجروني عائدا عبر الاطلسي، لكن في أي مكان آخر في الداخل... كلا سأكون في متناول أيديهم. ثالثا، ان الاجابة بالنفي

الاكيد على طلب التأجيل... انا دائما أكره انتظار أي شيء أريده."
عضت على شفتيها ونظرت الى أسفل. فلا جدال في الطابع العملي لتفكيره انه لم يخف رغبته فيها، ولن تكون امرأة اذا لم تفض أحاسيسها سرورا ورضى لدى معرفتها بهذا الأمر. لقد اختارها من دون البنات جميعا وطلب منها أن تتزوجه. وتجاهلت تماما الغرض البديل وهي أنها ذهبت اليه بشروط، كما تجاهلت التفكير فيما كانت ستؤول اليه الأمور لو أنه حاول اغواءها بدلا من طلب يدها غير المتوقع هذا. ففي الوقت الحاضر يكفيها أن تكون في حالة الحب المدهشة هذه مما ييسر عليها تبديد أي شكوك. وسألها:
"هل أخبرت أحدا؟"
"كلا، ولا حتى سوزان. فقد اتفقنا على ألا ننبس ببنت شفة الى أن تعود من رحلة موسكو."
وأومأ برأسه قائلا:
"هل أنت واثقة من رضاك عن خطط الزفاف. فالاسبوع المقبل سيكون الوقت قد فات لتغيير الرأي."
قالت وهي تدرك أنه يشير الى قرارهما بعقد قران هادىء:
"أنا واثقة تماماً."
لو كان لها والدان وقدر كبير من المعارف، لكان الأمر يختلف، وكان جاسون أيضا يريد زفافاً هادئاً. وذلك لأن معارفه كثيرون الى حد أن دعوتهم جميعا ستصبح مشكلة، فربما انتهى الأمر بدعوة نصف سكان لندن. وسيشكل هذا عبئا أكثر منه مصدرا للمتعة، خاصة وانه سيعود من موسكو قبل الزفاف بأربعة أيام. وميراندا عليها تدبير الأمور الخاصة بها، لذلك اتفقا على حفل صغير هادىء يضم عدداً محدوداً من الأصدقاء المقربين، يقام في بيت جاسون قبل رحيلهما الى المطار بما لا يزيد عن نصف ساعة، يستطيع المدعوون بعدها أن يبقوا ليتناولوا ما يشاؤون.

كان الاحتفاظ بالسر أسهل مما اعتقدت. وكانت الانفلونزا ما تزال منتشرة بين العاملين، وأخذ ضحاياها العائدون يكيلون النصائح لمن لم يصابوا بها بعد.

وقد أفلتت ميراندا منها وعزز شعورها بالمناعة احساسها بأنها تعيش ما يشبه الحلم الذي لم يفارقها طوال الأسبوعين الأخيرين.

كان الأمر كأنها تحيا حياتين. في النهار تذهب لعملها، وفي المساء تدخل الى عالم آخر بهيج مع جاسون، كان كل شيء جديدا عليها وكفيلا بأن يدير رأسها، هذا هو السبب في أنها لم تقابل خلال هذين الأسبوعين الا عددا قليلا جداً من أصدقاء جاسون على الرغم من الساعات الاجتماعية المزدحمة التي أمضتها معه خلال هذه المدة. أو ربما كان السبب أن جاسون ينفر من قبول دعوات معارفه الذين يلتقي بهم عرضاً في المسارح وفي المطاعم عندما تكون ميراندا بصحبته. وكان رده دوماً على هذه الدعوات هو:

"للأسف فاني مرتبط للاسبوع التالي كله."

وفي احدى المرات وجهت له الدعوة غادة فاتنة، فاعتذر وهو يقول لها:

"اتصلي بنا بعد يوم ١٣، بعد عودتي من موسكو."

فردت هذه:

"أرجو ألا تكون ذاهباً في مهمة تجسس."

لكنه همهم بغضب ثم سحب ميراندا بعيدا، وهي تقول له:

"لست كذلك ياجاسون."

"لست ماذا؟"

"لست متورطاً في شيء من هذا القبيل."

"من قبيل ماذا؟"

"التجسس؟"

وأبدى اندهاشاً عنيفاً، في حين واصلت هي:

"قرأت في مكان ما أنهم يستخدمون رجال الاعمال في

نقل المعلومات، ورجال أعمال مسافرين حسني النية مثلك، ولمرة واحدة فقط."

وحدق فيها لحظة ثم قال ساخراً:

"ذكريني لكي أريك سر المهنة في وقت ما. لدي جهاز ارسال في كعب الحذاء، وكاميرا مزروعة في جفن عيني اليسرى. وكل مرة أغمز فيها فتاة تلتقط صورة."

فلم تبتسم وقالت:

"أود لو لم تذهب بعيدا."

كانت أشياء كثيرة تقلقها. وبين كل هذه كان هناك جانب آخر يسبب لها قلقا أكبر هو جاسون. لم يقم بأي محاولة لاغوائها خلال فترة الخطوبة. كانت تحيته لها تقليدية ودون أي مظاهر للوله الذي أحسته منه في تلك الليلة عندما طلب يدها. يبدو أنه لم يكن يتوقع منها أن تعلن حبها له، ذلك الحب الذي كانت تتلهف لاعلانه والذي لم تجد تشجيعاً كافياً منه لتفجيره.

كانت واعية تماما أن نفسه يمكن أن تراوده في أن يسبق الزواج ويحقق رغباته منها، فهو لم يدع أبدا أنه يرتدي مسوح القديس بل كان أمينا في تناوله الموضوع عندما اعترف لها برغبته، وأحست أنه يترك لها القرار في ذلك. لم تكن تعرف أتأسف لهذا أم تشكره. ولمعرفتها به، أخذت تتساءل عن السبب الذي يدفعه لضبط نفسه. وفي بعض الأوقات راودتها رغبة في أن تسر بكل هذا الى سوزان، لكنها لم تجرؤ خوفاً من ألا تستطيع سوزان مقاومة رغبتها في أن تخبر راي، صديقها. ولحسن الحظ كانت سوزان مشغولة بأمورها فلم تلحظ التوهج الجديد الذي بدأ يلتمع في عيني صديقتها. سألت سوزان ميراندا:

"راي مختلف أليس كذلك؟"

فوافقت ميراندا قائلة:

"انه يبدو جاداً، لست أظن أنه لعوب."

"أنوي أن أفعل ذلك معها في عطلة نهاية هذا الاسبوع."
"هل هي على علم بالأمر؟"
"لم تعرف بعد. طلبت منها فقط ألا تنشغل يوم الثالث عشر وان تكرسه لي."
"حسناً، لا تظلي غامضة طويلا. اخطريها حتى تعد ثوبها الجديد أو أي ثوب تريدين منها أن تلبسه."

وأومأت ميراندا وهي متأثرة بتفاهمه وكرمه اللذين لم تكن تتوقعهما، لكنها كانت قد خططت بالفعل فيما يتعلق بثوب سوزان بشكل لا ينسف ميزانيتها المتواضعة. وأحست أن حبها له أذاب الجفاف الذي بدا على وجهه ووهبها ذلك الشجاعة على أن تقول له:

"متى ستنتهي من الاجتماع؟"
"لماذا؟"
"سأنتظرك، ثم أودعك في المطار."
"أفضل ألا تفعلي. فقد أبقى لآخر لحظة."
"لا يهم، الأمر يستحق ذلك من وجهة نظري ولو كان لبضع دقائق."
"آمل ألا تكوني زوجة يسيطر عليها حب التملك."
"هناك فارق بين الاهتمام وحب التملك. وأعتقد أني أستطيع أن أعرف الحد الفاصل بينهما."
"ستكونين واحدة من النساء القلائل اللواتي يستطعن ذلك بالنسبة الى خبرتي على الاقل."

وانتظر بفارغ صبر لم يخفه بينما كانت هي تقوم بجمع أشيائها ووضعها في حقيبتها.

وجلست بجفاف في السيارة وهي تحدق الى الأمام. سبح بها الفكر وجعلها تحس برجفة، وبدأ صدى ملاحظته عن الزوجة المحبة للتملك يتردد في ذهنها المرة تلو الأخرى. هل هكذا يبدأ الشجار بين المحبين؟ هل الأمر بهذه السهولة؟

وأبطأت السيارة لتقف على بعد بضعة أمتار من نقطة

التقاطع بين الطريق الرئيسي مقابل ويلوغروف، وهو يقول:
"هل يزعجك أن أنزلك هنا. ذلك سيوفر علي الدوران الذي يستغرق يوماً، عند نهاية شارعكم."
"بالطبع لا، سأراك عندما تعود، أتمنى لك رحلة طيبة."

ولم يبد أنه سيقوم بأي حركة تجاهها، وبعد أن ألقت ميراندا نظرة خاطفة على وجهه استدارت ومدت يدها لتفتح الباب فسمعته يقول:

"ميراندا."

والتفتت اليه توا، فأضاف:

"أنت تعرفين من الآن أني أحيا حياتين، حياتي الشخصية وحياة كارونا ستيل. وانا أحاول الفصل بينهما رغم أن هذا ليس سهلا، أو ممكنا دوماً. ان لشركة كارونا ستيل مطالب كثيرة، تحول دون الترفيه عن المرأة."
"هل تود تغيير رأيك؟"
"عن ماذا؟"
"عني."

وأفلتت منه صيحة تعجب، وانزلقت يداه عن عجلة القيادة وهو يقول:

"اصغي الي. ذلك هو بالدقة ما أريد أن ألفت انتباهك اليه. أبديت أنا ملاحظة معينة منذ برهة، اعترضت أنت عليها يا ميراندا."
"لم أفعل."
"بل فعلت، ان لم يكن بالكلام فبتغيير الكلام، فمنذ تلك اللحظة لذت بالصمت. كنت تريدين توديعي في المطار، لكن في هذه المرة من الأفضل ألا تفعلي. سأسافر مع رجل أعمال آخر، سأقابله هناك. وكل ما ستفعلينه حينئذ هو أنك ستقفين حيث نكون ولن يكون هناك وقت لتبادل العواطف."
"هل تعني أني سأكون مدعاة لتشتيت تفكيرك؟"
"لم أقل ذلك. ولا تضعي كلاماً من ابتكارك على لساني. كل

ما أحاول أن أوضحه هو أنه ستكون هناك مرات كثيرة يأتي عملي فيها في المكان الأول، وتلك المرة واحدة منها آه لو أن النساء يدركن هذا فحسب ولا يمضين في اصرارهن الذي لا نهاية له... ان ذلك سيوفر متاعب لا أول لها ولا آخر."

"انك تبدو وكأنك تتكلم من واقع التجربة."

"نعم."

"قلت انك تأخرت."

"حسناً، سأراك بعد موسكو. وكل شيء سيكون على ما يرام بعد هذا اليوم."

وكانت هناك ابتسامة خفيفة وقبلة أخرى من تلك القبلات المتعجلة التي تتركها وهي تحس بالارتباك وعدم الرضى. ونزلت من السيارة وشعرت بأن قلبها مثقل بالهموم وهي تدخل شقتها الساكنة. وأحست أنها بدأت تفيق من الحلم. لم يعد في امكانها التخلص من الشكوك التي تراودها. قال لها ان كل شيء سيكون على ما يرام... هل سيكون الأمر كذلك فعلا؟ هل يأخذ جاسون الزواج مأخذ الجد مثلها؟

توقعت أن الأيام ستزحف ثقيلة طويلة وهو بعيد، ولدهشتها، أحست أنها تطير طيراناً.

وفي عطلة نهاية الاسبوع ودعت أيام العمل في كارونا ستيل رسميا لتبدأ أجازتها، وعملياً للأبد. ولم يحدث ما يستدعي أن تستشير سكرتيرته، ولم تندلع في الشركة أي اشاعة مفاجئة كاندلاع النار في الهشيم. ومع ذلك أحست بالضياع وهي تفرغ أدراج مكتبها من حاجياتها الشخصية وتضعها في حقيبتها. لا شك انه سيكون أمرا رائعا لو أنها أعلنت الخبر ووقفت ترقب كيف يستقبله مجتمعها. انها تود أن ترى وجه رينا هارفي عندما تسمع الخبر... لكن كان عليها أن تقنع باخبار سوزان و راي وكما خشيت، أعربت سوزان عن غضبها منها وصاحت:

"كان عليك أن تخبريني. لم أكن لأنطق بكلمة واحدة،

وأنت تعرفين ذلك."

"قررنا أن تلك هي الطريقة المثلى. جاسون لم يرد جلبة."

"حسنا! الآن أتذكر أن عينيك كانتا تبدوان حالمتين عندما يكون قريباً. وكنت أعتقد أنه ليس لدينا ما نخفيه عن بعضنا البعض."

وبمهارة حولت ميراندا المناقشة نحو ترتيبات الزفاف، وسرعان ما صفحت عنها سوزان في غمرة انفعالها بالتخطيط لما سترتديه، وقررت ميراندا عندما خرجتا للشراء في اليوم التالي أن ترتدي ثوباً من نسيج رقيق بلون العاج له أكمام كاملة على الطراز الفيكتوري، وفيه تطريز بخيوط فضية وغطاء للرأس من طراز جولييت. وهذا الثوب تستطيع بعد ذلك أن ترتديه في الحفلات او المناسبات الخاصة. وبعد ذلك ركزتا على ثوب سوزان، وفي النهاية اختارتا قماشاً من الحرير يناسبها على نحو رائع. وبعد ذلك ذهبا الى الشقة المقابلة جين التي وصلت حديثا من ادنبره. وكانت جين فتاة ذات طبيعة وضاءة كالشمس المشرقة تحب المرح والصخب، فانكبت قلباً وقالباً تساعد ميراندا في الاستعدادات الآخيرة ليوم العظيم.

وفجأة بدا كأنما هناك حشد من المهام يجب القيام بها في آخر لحظة، من مشتريات وأعمال لابد أن تتم، وفي يوم الاثنين وصلت حقائب الثياب وأدوات الزينة، التي طلبها جاسون قبل أن يسافر، ونسي أن يخبرها بها، وفي اليوم التالي جاءتها باقة أزهار وبطاقة كتب عليها جاسون: "أراك قريبا".

وفي ذلك المساء صعدت جين السلالم الى غرفتها عدوا وأنفاسها تكاد تنقطع وقالت لميراندا:

"لك مكالمة تليفونية شخصية - لابد أنه هو."

"من موسكو، لا يمكن."

لكنه كان جاسون بالفعل يطلبها من موسكو.

وعندما تحدثت اليه استطاعت في أول الحديث أن تفافىء، وبدا صوته غريباً عبر البحر والقارة، لكنه كان هو. وتسارعت دقات قلبها سرورا وتدافعت الى شفتيها عبارات الود والحب. لكن لم يكن هناك وقت لذلك. فبعد مجاملة موجزة تحدث سريعاً وبحزم، وعندما انتهى من حديثه أحست ميراندا بالضيق والقلق. فقد حدث شيء غير متوقع يمنعه من أن يعود غداً.

كان عليه أن يقطع رحلته ليجري اتصالات عمل في براغ، كان ذلك ضروريا، نظرا الى ما حدث من تطور جديد، وليس هناك مفر من الذهاب. وسألت ميراندا وهي تستعد لأسوأ الاحتمالات:

"لكن متى؟"

"يوم الجمعة، يوم الجمعة آخر النهار."

"لكن ذلك هو اليوم السابق..."

"لكنه ليس اليوم التالي، لا تقلقي، ولا تأتي الى المطار ما لم أخطرك. نامي مبكرا لتحافظي على جمالك."

"لكن ذلك يعني أني لن أراك حتى..."

وانتهت المكالمة وخفت صوته بعيدا، اعتقدت أنه قال شيئا عن برقية لكنها لم تسمعه جيدا لانقطاع الخط. ولم تستطع أن تفعل شيئا الا أن تضع السماعة.

انتابها الذعر بعد أن تبدت لها كل الاحتمالات المزعجة، ربما لا يستطيع أن يجيء في موعده، ويتأخر مدة أطول من المتوقع. وعند ئذ يتعين تأجيل الزفاف، أو الغاؤه.

وطمأنتها جين بأن شيئاً من هذا لن يحدث. فالرجال مثل جاسون يقفزون في طائرات الشركات الدولية كما تقفز ميراندا في المترو وأكدت لها أنه سيعود في الموعد حتما.

ودت ميراندا أن تشعر بمثل هذه الثقة. انهما سيقومان برحلة تبدأ في مساء يوم السبت، وسيصل جاسون في الساعات الاولى من الصباح مما سيعني أنه سيطير حول نصف

العالم خلال يومين ليتوقف ساعات قليلة في لندن ليتزوج.

وظلت مضطربة قلقة طوال يوم الاربعاء. والخميس قررت أن تتحدث تليفونياً مع الآنسة مايو. واستراحت حين علمت أنه على اتصال بالمكتب وأن الآنسة مايو واثقة من سلامة جدول مواعيده. لم يكن هناك مدعاة للقلق، فكل شيء يمكن السيطرة عليه.

وقالت جين لميراندا:

"عندما يجيء يوم السبت ستكون أعصابك قد تحطمت. هل تعرفين ما أفكر فيه؟ أرى أن نخرج. لنذهب الى برايتون للتسرية عن أنفسنا."

"لا أستطيع، سأذهب الى مصفف الشعر في المساء. وربما جاءت مكالمة تليفونية ولم يجدني."

تمنت ميراندا من كل قلبها لو أنها عملت بنصيحة جين. فلو خرجت معها، لما كانت في المنزل عندما تحدثت سوزان، تليفونياً ثم ما لبثت أن جاءت اليها. وسرت ميراندا لرؤيتها وان دهشت بسبب ذلك. لانها تعرف أن سوزان تعمل كجليسة أطفال. فقالت لها سوزان أن راي صديقها أصر على أن تترك هذا العمل. وسألت سوزان عن جين فأخبرتها ميراندا انها خرجت وأضافت:

"تحدثت الى الآنسة مايو هذا المساء وقالت انه سيعود في رحلة المساء نحو التاسعة، وسيحدثني تليفونيا بمجرد أن يصل الى البيت."

وتوقفت عندما لاحظت تعبير وجه سوزان المتيبس غير المبتسم وسألتها:

"سوزان ماذا حدث؟"

وقالت سوزان: "أنا... أنا..." ومسحت شفتيها الجافتين وبدت كمن يوشك أن ينخرط في البكاء وحدقت فيها ميراندا تبحث عن تفسير وفجأة اهتدت الى تفسير فقالت:

"انك لم تأت لتقولي لي أنك لن تستطيعي أن تجيئي

"غداً؟ أوه، يا سوزان لن تتركيني لوحدي! سوف..."
"أوه، أود لو لم أكن قد أتيت أود... كيف سأقول؟"
"تقولين ماذا؟ ماذا يتعين عليك أن تقوليه؟"
"كنت أود لو أن جين هنا ربما أنا... انك ستكرهينني، لكن علي أن أخبرك وفي حالة ما اذا كان ذلك حقيقياً، فسيكون الوقت غداً قد تأخر."
"سوزان، أخبريني بسرعة."
"حسنا... ذاع الخبر الآن.. في المكتب. وبالطبع دهش الجميع وتحدثوا عنه. جيم غرايسون - أنت تعرفين جيم الكبير رجل الصيانة، الذي يربت على كتف كل موظفة ويسميها الجميلة، حتى الآنسة بيتسي القبيحة. قال انه لم يدهش لأن زميله توم رجل الأمن، الذي تعرفينه، قال له انه راكما أنت وجاسون تغادران المبنى معا ذات ليلة بعدما رحل الجميع، لكنه لم ينبس ببنت شفة لأن تلك وظيفته ولأنه لا يريد أن يخوض في سيرة الناس."
وتوقفت سوزان فحثتها ميراندا على الاستمرار فقالت هذه:
"حسنا، لقد سأل أحدهم: لم كل هذه السرية؟ والتفتت الي رينا تريد أن تتبين ما ان كنت أعرف طوال هذه المدة ولماذا لم أخبرها. لقد نظرت الي كما لو كنت جاسوساً في وسطهم، وعندئذ قلت لها ان هذا ليس من شانها. وعندئذ... لا أستطيع أن اتذكر كل كلمة قالتها، لكنها جعلتني اعدها أن اخبرك ببعض اشياء قبل أن يكون الوقت قد فات وقالت ان لم افعل فستأتي هي هنا لتراك."
"هنا! الا تعرف أني سأتزوج غدا؟ هل تعتقد أني أهتم بأي شيء تقوله لي عن جاسون؟ أيا كان فانا لا أريد أن أسمعه. أصبح كل ذلك ماضياً الآن. لا يهمني ان كان لديه حريم أو كان يحتفظ بنصف دستة من العشيقات. أنا أعرف أنه كان لجاسون علاقات. أعتقد أني كنت سأقلق لو لم يكن له. انه ليس صبياً. لن أسمع أي شيء من تلك المرأة المسمومة."

"أوه، كلا، أنت لا تفهمين. أنا أعرف أنها ثرثارة، لكنها ليست بهذا السوء. من فضلك اصغي الي. انك سترتكبين خطأ فادحا وتحطمين قلبك، انها مهتمة بك حقا، ولابد من اخبارك."
شل جليد الخوف ميراندا ثانية. وهمست في رعب:
"من الأفضل أن تخبريني، وننتهي من هذا الموضوع. لماذا لا يجب أن أتزوج جاسون."
"لأن له علاقة مع امرأة متزوجة."
وبدت اللحظات دهراً وميراندا تحدق بعينين مملوءتين رعباً في وجه صديقتها المليء بالتعاسة، واخيراً استطاعت بشق النفس أن تقول:
"لاأصدق هذا. ليس هذا حقيقياً. لا يمكن هذا. من هي؟"
"لا أعرف. لم ترد رينا أخباري. اذ قالت لا أسماء الآن حتى لا اجر على نفسي المتاعب لو عرف هذا. لكنها أقسمت أنها رأتهما معا اخيراً وأنها تعتقد أن هذا حقيقي."
لم تستطع ميراندا أن تنطق. ونظرت سوزان الى خديها اللذين اكتسيا ببياض الموت، وقالت لها:
"هل انت على ما يرام. أنا آسفة، لكن كان علي أن أخبرك. ما كنت لأغفر لنفسي لو اخفيت عنك الأمر."
"ان الوقت متأخر الآن. لقد فات الأوان... فانا أحبه."

سوى أن ترد باقتضاب. وظل السؤال حبيسا في صدرها يتعتصرها ألما وهي تتلهف أن تسمع منه كلمة يؤكد فيها حبه لها، كلمة تقضي على شكوكها. ويبدو أنه أحس بما يجول في خاطرها، فأسرع يقول:

"لن أستبقيك، فأنا نفسي تطوف بي مثل مشاعرك."

"مثل ماذا؟"

"مثلما تبدين أنت: "متقطعة الأنفاس عاجزة عن الاستمرار" لكن لا تقلقي فالغد غدنا ياحلوة."

يا حلوة... كررت الكلمة لنفسها بنعومة. كانت هذه الكلمة تشير الى عمق حبه لها، ذلك الحب الذي تبحث عنه طويلا لا كمثل تلك العاطفة الهشة التي أظهرها في بعض الأحيان والتي شعرت بغريزتها أنها عاطفة مصطنعة يتقنها الرجال لارضاء النساء. ان اللوم يجب أن يوجه الينا نحن معشر النساء فاننا نريد فيضاً مستمرا من التعبير عن حب الرجال لنا والرجال يستطيعون أن يفعلوا ذلك بطريقة آلية.

وأدارت عينيها تتأمل الغرفة بعينين مضطربتين، تلك آخر مرة ستنام فيها هنا. وقريبا تنام هنا فتاة أخرى تداعب جفنيها أحلام عذبة في هذا السرير. وجاءت جين تطمئن عليها وهمست قائلة:

"ميراندا، أمازلت يقظة؟"

"نعم."

"هلا تنامين بحق السماء. هل تودين أن تكوني محطمة في يوم زواجك؟"

"لا أستطيع أن انام، ولا أعرف ماذا أفعل."

"قلت لك، انسي الموضوع. افترضي أنك ذهبت اليه وناقشت الأمر معه ووجدت أنه مجرد اشاعة. لابد أن تفضي اليه بما يشاع عنه وأن تعطيه الفرصة للنفي."

لكنها كانت تعرف ماذا سيكون عليه رد فعله: غضب بارد وربما انسحاب من الامر كله.

٧ - ليلة العرس البيضاء

امرأة متزوجة...

هجر النوم ميراندا عشية زواجها. وتلاحقت في ذهنها الأحداث التي مرت بها: ما كشفته لها سوزان ونصائح جين وكل ما سمعته عن جاسون.

لكن كل هذا ينتمي الى الماضي. حتى لو كان حقيقيا. انه لا يمت بصلة الى الحاضر. فالمنطق يؤكد أن غمزات رينا لا يمكن أن تكون حقيقية، ألم تشاركه هي نفسها الكثير من أمسياته الخالية من العمل وعطلاته الأسبوعية منذ أن طلب منها الزواج. ورجل كهذا مثقل بمسؤوليات جسام وأعمال وسفريات عديدة لا يمكن أن يكون لديه وقت لما تدعيه رينا من علاقة بينه وبين امرأة أخرى. ان رينا يمكن أن تختلق أي قصص لتروجها عند أية همسة من أشاعة، ولكن لا يمكن أن تكون له علاقة بهذه المرأة!

مضت سوزان وهي تحس بالتعاسة، وجاءت جين وعرفت أسباب الحالة البائسة التي وجدت فيها ميراندا، وغضبت وصدمت وهتفت قائلة:

"اما أن تنسي ذلك وتثقي فيه او تطلبيه تليفونيا وتعرفي منه الحقيقة."

ولم تستطع ميراندا أن تفعل أياً من الأمرين. وعندما طلبها جاسون تليفونيا في العاشرة كما وعد لم تستطع

لن يقر ولن ينفي، وسيكون هذا هو نهاية كل شيء، واذا كان الشك بينهما قد بلغ هذا الحد، فما هي الثقة او الحب؟

واستطردت جين تقول لها:

"هناك دائما دافع وراء هذه الاشاعات فمثيرو الاشاعات يسعدهم أن يدمروا ما حرمواهم منه."

لكن سوزان ليست من هذا النوع.

واخيرا راحت في سبات عميق، وبدالها أن ذلك لم يدم سوى لحظات عندما لمست جين كتفها وهي تقول:

"استيقظي... ها هو شاي الصباح للعروس."

"كم الساعة الآن؟"

ونظرت الى الساعة وهتفت مذعورة:

"الثامنة والنصف والتاكسي سيأتي في العاشرة."

"اهدأي. كل شيء يمكن التحكم فيه تماما، لديك خمس دقائق للشاي بينما أعد لك حمامك. كل ما عليك أن تفعليه هو اطاعة الأوامر."

نظمت السيدة سوندرز وجين كل شيء، واهتما أول كل شيء بطمأنة ميراندا. وعندما جلست هذه امام المرآه قالت لها جين:

"أنت في حاجة الى لمسة ألوان على هذه الخدود."

وعلقت السيدة سوندرز:

"انه مجرد توتر يسبق الزواج. كنت انا ايضا أبدو كذلك عند زواجي."

"أنت يا خالتي، أعتقد أن عمي اندرو كان يبدو أسوأ عشر مرات."

"أمضى عمك اندرو ليلته مستيقظا يتساءل هل أتزوجه أم أتزوج أفضل رجل يتقدم الي!"

وجاءت سوزان بالتاكسي حيث ذهبا الى مكتب التسجيل ولم ينطق أي منهما بحرف طوال الرحلة. كانت سوزان تحس بالذنب وبدأت ميراندا ترتعش وهما تدخلان المبنى. كان

أول شخص رآياه هو جاسون، الذي بدا وسيما جذابا في البذلة السوداء الرسمية، وتقدم اليها ومعه رجل طاعن في السن قوي البنية وجهه مألوف لميراندا بصورة واضحة. وقال لها جاسون إنك تبدين رائعة للغاية."

"هل أبدو كذلك؟"

"لا أعتقد أنك قابلت من قبل سير شارل، رئيسنا. شارل تلك هي عروستي، الآنسة ميك وعلق سير شارل:

"انها عروس جميلة للغاية. أنا مسرور لرؤياك ياعزيزتي. وآمل أن يستحقك عريسك، ها هي زوجتي جاءت."

وبدأ سير شارل في تقديم كل منهما للأخرى. وفي اللحظة نفسها انتهت مراسم الزواج السابق وبدأ الاحتفال القصير الذي أصبحت ميراندا بعده السيدة جاسون ستيل.

انها تتذكر تفاصيل قليلة من يوم الزواج هذا. اذ وقع سير شارل على العقد كشاهد ثم قال لجاسون:

"قبل عروسك يابني وكانت سوزان تتعثر في مشيتها. وامعت أنوار آلات التصوير."

ورجعا في سيارة سير شارل الى بايرن سكوير. وعندما أصبحا منفردين في السيارة عانقها ثم سألها:

"هل تكرهين كل هذه الضجة."

"كلا، بالطبع."

"مع كل التبجيل لأحلام النساء، أعترف أنني ممتن أننا قررنا البعد عن الضجيج. بصراحة ان الخيال يجفل مما كان سيحدثه في نفسي هذا الضجيج."

وأخذ يدها حيث أشار الى مكان خاتم الزواج وقال:

"أليس هذا هو الشيء الأساسي؟"

وخفضت رأسها ودقات قلبها تتسارع. وأضاف:

"لو خالفت الآنسة مايو و ليبي والسير شارل تعليماتي لفصلتهم."

"انك لا تستطيع أن تفصل سير شارل!"

"للأسف لا ، لكني سأجد وسيلة للانتقام."

لم تكن تشك في هذا وعندما وصلا الى المنزل ودخلا ، رأيا في الردهة الهدايا التي قدمت اليهما ، من سوزان وراي وجين وخالتها ومن سير شارل وزوجته ومن والي أمبروز الذي كانت تعرفه بالنظر فقط، وفوجئا بوجود والي منتظرا مع مجموعة من الرجال في البيت . لما رآهما قال لهما :

"لقد نشرت الخبر في المدينة . فلا يمكن أن أدعكما ترحلان بلا وداع !"

وكان من الواضح أن والي نظم احتفالا جميلا ساده جو من الصخب والهرج والمرج . وعندما أن وقت رحيلهما بدا جاسون ممتنا للخلاص من هذا الضجيج وفي الشارع شاهدا سيارة سير شارل وسيارة والي مزينة بالأشرطة على أهبة الاستعداد لاستقبال العروسين وتسابقت الأيدي لمصافحتهما . وكان سير شارل واقفا قرب سيارته يلوح لهما . وأخذ جاسون العروس وعانقها وتعالت الصيحات والهتافات ، ثم جرى بها الى سيارة سير شارل الذي فتح لهما بابها ودخلا وانطلقت بهما الى المطار ، واستغرقا بعض الوقت حتى استرجعا انفاسهما .

مضت الرحلة الطويلة عبر الاطلسي سهلة يسيرة بلا تأخير ، وكانت تجربة جديدة مثيرة بالنسبة الى ميراندا . ومع أن التجربة لم تكن كذلك بالنسبة الى جاسون فانه كان يشاركها سرورها ، لكنه بعد أن توقفت الطائرة في برمودا قال لها انه سيغفو قليلا فلا حاجة به للتطلع الى المناظر التي يمران فوقها أثناء الرحلة اذ سبق أن شاهدها مرارا ، وان نظرها سينصرف عنه الى تلك المشاهد فقالت له:

"لا أعرف كيف تستطيع ؟"

"أستطيع ماذا ؟ أن أنام في شهر عسلي ؟"

"كلا ، أقصد كيف تستطيع أن تتجاهل كل هذا الجمال حتى لو كنت رأيته من قبل؟ انه لشيء جميل جدا ."

"انتظري حتى تري غروب الشمس."

وأغمض عينيه مؤكدا عزمه على النوم.

وظلت تتأمله وهو نائم الى أن فتح عينيه وقال:

"لا تنظري الي كذلك... فأنا لا أستطيع... هناك أناس كثيرون في الطائرة أم يجب أن.. هناك أربع ساعات على الأقل قبل أن نصبح وحدنا..."

وفي هذه اللحظة جاءت المضيفة تسألهما ان كانا يريدان شيئا وأحست ميراندا أن مجيئها لم يكن في الوقت المناسب ، فشكرها جاسون وصرفها ثم قال لميراندا:

"وجهك يحمر خجلا ياحلوتي."

"ماذا تتوقع؟ انها غلطتك!"

"اذن سأتلقى قدرا هائلا من اللوم. في أي حال فاني أود دوما رؤية لون وجهك هذا."

"أعتقد أنك تود أن تنام."

"هرب مني النوم. أريد شخصا يحكي لي قصة قبل النوم."

"أي حكايات الاطفال تفضل؟"

"كبرت على ذلك منذ وقت طويل. كنت أتوقع منك اقتراحات أكثر رومانسية."

"نم ياحبيبي أو..."

"من في تلك الحكايات هو الشخص الذي نام وأيقظوه بقبلة...؟ ان هذا يناسبني أكثر من غيره."

وفي الموعد المحدد هبطت الطائرة في مدينة مكسيكو، وهناك واجها أول تأخير. اذ تأخرت الطائرة التي سيكملان بها رحلتهما لمدة ساعة وأخذ هو يدخن في عصبية في حين ظلت هي هادئة ساكنة، ولم تسترح الا عندما أقلعا من جديد وقال لها:

"لو كان كل الركاب صبورين مثلك لما سافر أي انسان الى أي مكان. ستكون هناك مفاجأة صغيرة لك في الفندق."

"مفاجأة؟ لم أكن أعرف انه يمكن ترتيب المفاجآت من بعيد."

"تستطيعين أن ترتبي أي شيء من أي مكان لو عرفت السبيل الى ذلك."

ولم يذكر شيئا آخر في هذا الصدد وتركها تخمن ما تشاء عن هذه المفاجآت، ولما يئست منه كفت عن التفكير فيها.
وأخيرا هبطت الطائرة. وخرجا الى اكابولكو والليل المكسيكي، الى مشاهد واصوات وموسيقى وضحكات وأزهار جديدة بددت كل أثر للارهاق.

ولم تدر ميراندا أن يدها تسللت الى يد جاسون وأن عينيها تومضان ببريق الفرحة، وظلت محلقة في عالم بهيج، فلم تشعر بالوقت الا والتاكسي يقف أمام الفندق وصبيان يهرعان اليهما لحمل الحقائب. وعندما دخلا أسرع موظفو الاستقبال يولون جاسون كل الاهتمام وهو الأمر الذي كاد أن يصبح حقا له في كل مكان.

وخرجا ثانية من الفندق مع احد موظفي الاستقبال وسارا بين الحدائق والنباتات التي تضيئها فوانيس ذهبية كادت تحيلها نهاراً. وكان هناك حمام سباحة بيضاوي، تطفو فيه زهور يانعة، وخلفه فيلا صغيرة، قادهما رجل الفندق اليها.

كانت الفيلا رائعة مفروشة على الطراز المكسيكي تضم غرفة جلوس تفضي الى حديقة تنساب فيها الموسيقى من مصدر غير واضح كما تضم مطبخاً صغيرا مجهزا بكل الأدوات والأطعمة والمشروبات وغرفة نوم كبيرة جيدة التهوئة، تطل على البحر، وحمام غاية في الاتساع والنظافة، وفي الفندق ثلاثة مطاعم، لهما الخيار بينها، أو اذ أرادا يطلبان طعامهما في الفيلا. وكان للفيلا حمام سباحة خاص.

وأبلغ جاسون رجل الفندق أن كل شيء على ما يرام، في حين اخذت ميراندا تحدق حولها في انبهار. وجاء عدد آخر من العاملين في الفندق يحملون عشرات العلب البيضاء الكبيرة وعليها علامة ذهبية مطبوعة في ركن منها، وشريط ذهبي يلف كلا منها، ووضعوها في غرفة النوم كما أمرهم جاسون وأخذوا

بقشيشاً وانصرفوا، وبعد انصرافهم قال جاسون لميراندا:
"حسنا ياسيدة ستيل، هل توافقين على الفيلا؟"
"انها لرائعة."
"رأيت أنك تفضلينها على الأجنحة التقليدية في الفنادق. فهنا يمكن الاسترخاء كيفما يريد المرء والآن هيا بنا نفتح العلب."
"هل جميعها لي؟"
"عندما تفتحينها سترين على وجه التأكيد أنها ليست لي."

وترددت قليلا ثم مضت الى غرفة النوم حيث كانت العلب مكدسة في اكوام، ورفعت العلبة العليا منها وفتحتها فوجدت ثوبا نسائيا طويلا فضفاضاً بلون المشمش، ومجموعة أخرى من الثياب باللون نفسه، وانهمكت كالمحمومة في فض العلب واحدة بعد الآخرى، وفي كل مرة تفلت منها صيحة فرح وابتهاج. اذ وجدت فيها كل ما تحتاجه سيدة أنيقة تشتري ملابسها من أرقى المحلات، وبكل الالوان وجاءها صوت جاسون:
"هل مقاسها مناسب؟"
"اعتقد هذا، لم أجرب أيا منها بعد... لكن ياجاسون، لا يمكن أن تشتري كل هذا، انه يساوي ثروة."
"هل تعجبك؟"
"تماما، انها رائعة، لكن..."
"فكرت في أن تختاري بنفسك ما تودين، لكني خشيت من أن خجلك يمنعك من الاختيار."
"انها جميلة، انك غاية في الكرم."
ونظر الى العلب وهتف في قلق:
"هل فتحتها جميعا؟"
اعتقد هذا. ماذا هناك؟ هل أرسلوا أشياء خطأ؟"

وقفزت الى استنتاج مؤداه أن خطأ كبيرا حدث، وأن هذه الاشياء ليست لها، انها لعروس أخرى، أو لنجمة سينما

او لأميرة.

وقال جاسون وهو يقذف احدى العلب الفارغة بقدمه:

"الأغبياء. لقد أخطأ شخص ما. هناك أشياء ناقصة، تلك الفتاة الملعونة، أرسلت كل الالوان المعروفة عدا اللون المهم..."

أخيرا أدركت ما كان يعنيه. فلم يكن ثوب العروس الأبيض التقليدي موجودا، وقالت له وهي تبدأ في وضعها على العلاقات:

"لا يهم، لن أغيرها بأي شيء آخر، حتى باللون الأبيض كالثلج. ولا أعتقد أني في حاجة الى افراغها من علبها فيما عدا ثوب السباحة."

"هل ستفرغينها أم تأخذين حماما أولا؟"

"أفضل أن أفرغها أولا."

"اذن سآخذ أنا حماما الآن."

وعندما عاد وجد أنها ما زالت منهمكة في الترتيب فسألها ان كانت تريد عونا فشكرته مؤكدة أنها تستطيع أن تنهض بالامر وحدها. فجلس يرقبها بعينين نصف مغمضتين وأخيرا قال لها:

"اتركي الباقي بحق السماء وتعالي هنا."

وبدأت تدرك ما تعنيه هذه الليلة فقالت:

"كدت أنتهي منها لا أستطيع أن أترك كل هذا."

وانهمكت في العمل حتى جاءت الحقيبة الاخيرة ووجدت فيها الاشياء التي اشترتها هي. كانت لا تقارن بفخامة وروعة وغلاء ما اشتراه جاسون فتركتها مكانها في الحقيبة بدون أن تفرغها.

وتحرك بهدوء ووضع يده على كتفها وأدارها اليه، وتسارعت دقات قلبها وأحست بالحاجة الى الاطمئنان. لو أنه يقول أنه يحبها وسألها:

"هل قال لك احد كم تبدين جميلة اليوم؟"

"قلت لي أنت نفسك وكذلك سوزان وسير شارل."

"سير شارل وسوزان: أعتقد فعلا أنك غير مغرورة. ما هي الفضائل الأخرى التي يتعين علي أن أكتشفها فيك؟ الصبر، التواضع الحلم، البراءة."

"انت تجعل الفضائل تبدو مملة للغاية. لكنك نسيت أشياء أخرى منها أني عنيدة، وسليطة اللسان، ومجموعة أخرى من الصفات لقد قلت ذلك بنفسك، هل تذكر؟ في تلك الليلة عندما وجدتني في مكتبك!

"ذكرت كثيرا من الأشياء المفزعة في تلك الليلة، أليس كذلك؟ لكني مازلت غير متأكد من مدى استحقاقك لها."

وجذبها اليه، وتسربت اليها رائحة جسمه الدافئة وهو يقول لها:

"نعم ان لك أغوارا بعيدة لم تسبر بعد، وسأسبرها جميعها واحدا بعد الآخر."

وهرعت الى الحمام، وكالمحمومة نظفت أسنانها وأخذت حماما سريعا وارتدت ملابسها وعادت الى الغرفة. فوجدته مستلقيا على ظهره ويداه خلف رأسه، ونظر اليها بدون أن يتحرك، فقالت له:

"سأجرب الثياب جميعها، ثم..."

"تأخر الوقت لاجراء عرض أزياء."

واطفأ المصباح المعلق الى أعلى فوق رأسه، وأكد لها أنه يتوقع منها أن تنام في السرير الآخر بجوار سريره فقالت:

"لكن... لكن..."

"لكن ماذا؟"

"انها ليلة زفافنا."

"لم أنس ذلك."

وظل فترة يحدق فيها ببرود حتى خفضت رأسها. لم تتصور أن تنتهي الامور كذلك، ولم تدر ماذا تفعل. فخلعت روبها والقته على الكرسي. ونادى عليها:

"ميراندا. انا لست من أنصار الحب من قبيل الواجب. فحتى التضحية بالعذرية لا تغريني على ذلك. عرفت منذ أن قابلتك، كم سيكون الأمر صعبا، لكنني..."

"اذن لماذا تزوجتني؟"

"لم تصغ لكلامي حتى نهايته. كنت سأقول أني كنت على ثقة من أن الأمر سيكون دوما على هذا النحو. فرغم أنك تزوجتني فانك لا تثقين بي."

"بل أثق، أنا..."

"انك لست مقنعة في كذبك، لكني لن أجادل. وفي الوقت الحالي لنقل أن الثماني والأربعين ساعة الماضية كانت مرهقة جداً ولنترك الأمر عند هذا."

"فهمت، انك تعب من السفر."

"كلا لست كذلك، ولست تعباً أصلا. لكني لست في حالة تسمح بالتودد المطول، لذلك أنصحك بأن تنامي حفاظاً على جمالك."

"لو كانت هذه رغبتك."

"نعم، والأمانة تقتضيك أن تعترفي بأنها رغبتك أيضا."

فتسللت الى السرير الآخر، ورقدت وساد الصمت الغرفة. لكن النوم جفاها وأخذت تستعرض كل ما مر وتتساءل هل أخطأت. وادركت أن البداية لم تكن موفقة من جانبها.

٨ - الليلة الثانية

أيقنت ميراندا أن النوم سيجافيها خلال تلك الساعات الطويلة التعسة، رغم أن ارهاقا مميتا بدأ يزحف على جسمها، تاركا ذهنها وعواطفها فقط مستيقظة يلهبها الألم بسياطه.

وسمعت جاسون يتحرك في فراشه. فحبست أنفاسها متسائلة هل ما زال مستيقظا، وتمنت من كل قلبها أن يتمتم أو يتكلم عبر الظلام فتستمد من ذلك راحة. لكنه لم يفعل، وعبست ثانية. من المؤكد أن تلك أقسى أنواع الوحدة. فهي وحيدة وان لم تكن وحيدة، زوجها ينام في سرير آخر الى جوار سريرها. وأخيرا هدها التعب فنامت. وكانت تلك أول تجربة. أما التجربة الثانية التي تعرضت لها فكانت الاستيقاظ المفاجىء ثم لحظة الادراك التي تأتي مع فهم الظروف. وجلست ورأت الستائر ما تزال مسدلة رغم أن الاصوات الآتية من الخارج كانت تبين أن يوم أجازة ولعب آخر قد بدأ. ثم أدركت أنها وحدها. ونظرت الى ساعتها فوجدت أنها الثالثة. فظنت أنها متوقفة، ووضعتها على أذنها فوجدتها منتظمة ولم تتوقف، ونهضت من السرير ووجدت الحمام خالياً وروب جاسون الأزرق على علاقة خلف الباب. وادركت أن خلو الجناح لم يكن وليد خيالها. وجعلها الرعب تسرع الخطى في الغرف الاخرى لتفتش عنه ولا تجده فتبطىء وهي تعود الى غرفة النوم. أين ذهب جاسون؟

واخذت حماماً سريعاً وارتدت ملابسها ومشطت شعرها ورغم احساسها بالعطش لم تتوقف لتشرب وأسرعت الى الخارج. ولفحتها حرارة الجو، كانت السماء صحوا، ثم استطاعت أن ترى ما حولها. كان الجزء الرئيسي من الفندق يقع الى يسارها، والحديقة تمتد منه في شكل هلال حتى تطل على الخليج، والأجنحة تمتد على أطرافها، وكلها بيضاء ولكل منها حوض سباحة خاص به ورأت الجميع يستمتعون بالقفز واللعب والسباحة. فخلعت رداء الشاطىء الذي يعلو ثوب السباحة وقفزت في الحوض الخاص بهما، وهي تقول ان كان جاسون قد ذهب الى مكان ما على هواه، فلتغتنم هي فرصة وجود حوض السباحة. وأخذت تسبح وهي تحاول أن تقنع نفسها بأنها لا تبالي وأنه من الأفضل لها أن تموت قبل أن يعرف جاسون أنها تبالي، وفجأة رأت ظله يسقط على الماء ونظرت اليه ورأته يحدق فيها، ففاضت عيناها بالدموع. وقال لها:

"الافطار في الطريق، من الأفضل أن تخرجي."

ولم يمد يده ليساعدها على الخروج. وتمنت ألا يلحظ الدموع التي اختلطت بقطرات الماء وقالت له:

"أي افطار، هل تقصد الشاي، أليس كذلك؟ كان عليك أن تخبرني أنك سترحل طول اليوم."

"شاي؟ طول اليوم؟ ما الذي تتحدثين عنه؟"

" لا تحاول أن تبدو ظريفا."

وتجاوزته الى حيث جاءت بمنشفة ثم عادت فرأت الخادمة المكسيكية الصغيرة قادمة وهي تدفع عربة طعام مغطاة وبدأت تفرغ الأطباق والأكواب على مائدة صغيرة وقدمت لميراندا قائمة طعام، وقال لها جاسون أنها تسألك هل تودين افطاراً فرنسياً أو أميركياً أو مكسيكياً فردت ميراندا بحدة:

"اسمع، أنا أعرف أني نمت، لكنك لا يجب أن تغالي الى هذا الحد، قل لها أني أريد فاكهة وخبزاً فقط مع القهوة."

وهز كتفيه وتحدث للفتاة باللغة المكسيكية

فابتسمت وبدأت في رفع الأشياء. وجلس جاسون وهو يسألها:

"في أي وقت تعتقدين أنك استيقظت؟"

"في الساعة الثالثة."

فضحك وهو يقول:

"في الساعة الثالثة! هل عرفت ما نسيته؟"

وعندما عجزت عن الرد قال:

"نسيت ضبط ساعتك على الوقت الحالي. وهناك فارق ست ساعات!"

هل هذا هو كل ما يستطيع أن يتحدث فيه، حماقاتها حول أمور صغيرة. فهتفت محتدة:

"ثم ماذا؟ ما أهمية ذلك؟"

"حقا، ما أهمية ذلك؟"

وفي صمت سكب لنفسه فنجان قهوة وبدأ يقرأ جريدته. ونسيت ميراندا غضبة الكبرياء الوجيزة، في غمار تذكرها لكل ما مر بها في الليلة الفائتة. وبدأت تشعر كطفل يعرف أنه أخفق، رغم تلهفه أن يكون مبعث سرور، وبدأت ثانية في تأنيب الذات. لماذا شعرت بالرغبة في التملص من جاسون الليلة الفائتة؟ ولم تتجاوب معه؟ من الغباء انكار لحظات التملص الوجيزة المحيرة هذه، وخداع نفسها بأنه لم يلحظها والأكثر غباء أن تنكر تأثيره عليها... ان مجرد التفكير فيه يرسل رجفة في قلبها. لم تستطع الاجابة على هذه الاسئلة، ولم تتبين الطريقة التي تحطم بها الحاجز الذي أحست بوجوده بينهما هذا الصباح. وعندما طوى الصحيفة قال ببرود:

"طلبت سيارة، لاعتقادي أنك تودين استكشاف المدينة."

ووقف وسار بجوار حوض السباحة وهو يقول:

"سأعود خلال ربع ساعة، ولذا فمن الافضل أن تغيري ملابسك."

وبدون رد فعلت ما أمر به، وعندما عادت كان لا يزال واقفا هناك وسألها:

"هل أنت مستعدة؟" وأخذ نظارته الشمسية ولبسها. وأضافت العدسات السوداء الكبيرة المزيد الى قسماته الغامضة. وتنهدت وهي تسير معه الى حيث تنتظر السيارة.

وكانت هناك في هذا اليوم مناظر كثيرة استحوذت على انتباهها من المحلات الفاخرة والمقاهي السياحية الجذابة ومنازل المدينة القديمة بشرفاتها المليئة بأحواض الزهور وحبال الغسيل. وفي وقت الغداء حجز جاسون مائدة في مطعم يطل على البحر، حيث استطاعت من حيث تجلس أن ترى الخليج والتلال التي تحيط بالميناء. كان مشهدا تحتبس له الأنفاس، لكن الحاجز القائم بينهما بقي، مفسداً ما كان يمكن أن يكون يوم سرور بالغ.

وعندما انتهى المساء شعرت بالحرارة والتعب. ولم تأسف عندما اعلن لها جاسون موعد عودتهما للفندق عزمه على أخذ دش ثم السباحة في الحوض الرئيسي في الجانب الآخر من الفندق، لكن عندما نزلا من السيارة سمعا شخصا ما ينادي جاسون، فالتفتا ورأيا رجلا في اواسط العمر قوي البنية يتقدم اليهما.

وتبين أن القادم الجديد رجل اعمال اميركي من معارف جاسون، وعندما عرف بحقيقة المناسبة التي جاءا من أجلها أصر على أن يكون ميراندا وجاسون ضيفيه على العشاء تلك الليلة. كان اسمه رون، وتآلفت معه ميراندا فورا رغم الحذر الطفيف الذي أحسته من جاسون تجاهه وأخذ رون يتحدث عن أسرته في اووكلاند، وعن ابنته التي يقترب موعد زواجها، والاستعدادات التي تتم من أجل ذلك.وافترقا على أن يلتقيا مساء.

وعندما كانا يرتديان ملابسهما للعشاء سألته:

"من هم الكلافاديستاس؟"

قال رون أننا سنراهم الليلة.

فرد جاسون: "انهم الغواصون".

ولم يزد، فقد كان منصرفا الى افكاره. كان يبدو وسيما للغاية في الملابس التي اختارها، وودت أن ترتمي بين ذراعيه، لتلتصق بقلبه. لكنها لا تستطيع أن تقوم بالخطوة الاولى، خوفا من صده وبينما أخذت تصعد بعض التنهدات أضافت اللمسات الأخيرة بالعطور وتأملت نفسها مدققة في المرآة، وتصاعدت دقات قلبها وجاسون يرمقها بنظرة اعجاب وان لم يعلق بغير عبارة:

"هل أنت جاهزة؟"

قالها مصحوبة برفع حاجبيه. وعلى العشاء كان مضيفهما على سجيته. فأبدى اعجابه بها باستفاضة، مما جعل خديها يتوردان وهو يقول لجاسون انه جد محظوظ اذ كسب تلك العروس الساحرة.

كان عشاء فاخرا مع رجل ولد مضيفاً بطبيعته وفي جو رومانسي على نحو مدهش. وأحست بزوال التوتر وبالاسترخاء وبقليل من السعادة وأضفى الوميض الناعم للمصباح الموضوع بين الزهور خديها لونا وردياً وضاء. وكشف عن النداء الحنون في عينيها، الذي لم تكن تدركه. وأحدثت السهرة أثرها السحري، وعندما حان الوقت ليظهر الغواص هتفت:

"انه سوف لا يقفز من هناك!"

وأومأ رون بالموافقة وساد الصمت عندما صعد الغواص الشاب النحيل الى قمة صخرة عالية وكان يمسك في يديه مصباحين مضيئين. ووقف هناك بلا حراك وبعد ذلك قفز من عل وهو يحرك المصباحين فوق رأسه مما جعله يبدو كالنجم اذا هوى. وكان الماء منخفضا عن مكان القفز بما يزيد عن مائة قدم.

واغمضت ميراندا عينيها ورددت أفواه أخرى الزفرة التي اطلقتها وقال رون:

"اعتقد أن عمق الماء يبلغ ثماني عشرة قدماً، انه رائع."
وهمست ميراندا بخوف وهي تنظر الى أسفل:
"هل هو بخير؟"
فرد جاسون وهو ينظر بدوره:
"نعم ها هو!"
ورأت ميراندا الغواص يخرج من الماء ثم يتسلق الصخور وبعد ذلك يختفي عن مجال رؤيتهم.
وحان وقت الذهاب. واشتد الاحساس بالاسترخاء بعد هذه الوجبة الفاخرة، وسار الرجلان يثرثران في كسل في طريق العودة الى الفندق، وودعت ميراندا رون وهي تحس بالأسف لصداقة جديدة سترحل سريعاً. هل سيرونه في لندن؟ هل ستتاح لهما فرصة زيارته هو وأسرته في الولايات المتحدة لو جاءت لجاسون رحلة عمل الى هناك؟ لو أن كل الصداقات القصيرة التي نعقدها تصبح دائمة لاصبح لنا عدد لا يحصى من الأصدقاء. وعندما وصلا الى جناحهما قال لها جاسون:
"انك تبدين هادئة تماماً. لم تندمي على تلك الأمسية التي أمضيناها مع رون العجوز."
"أوه، كلا استمتعت بها لأقصى حد. وأنت؟"
"يمكن أن تقولي أنها كانت تغييراً مثالياً."
وبدون أن ينتظر ردها مال عليها وعانقها. وبعد لحظات غمغم قائلا:
"انك تبدين جميلة للغاية الليلة."
ولم يعطها أيضا فرصة للرد.
وقفت ساكنة بين ذراعيه، ثم انتابها احساس طاغ بالفرح، وبدأت نبضات قلبها تتسارع. وببطء رفعت يديها وأمسكت بهما كتفيه وان كانت لا تزال خجلى في استجابتها، فقوى قبضته عليها وزاد من عنف ضمه لها وسألها:
"هل لازلت خجلى مني؟"
وضغطت وجهها على كتفه وهي تقول:

"ليس على وجه الدقة، لكن... تلك هي المرة الأولى في حياتي!"
"أنا مدرك لهذا. هل يبدو الأمر شنيعا؟"
"كلا اذا... كلا اذا لم تكن نافد الصبر معي على نحو مجنون، واذا... فقال وهو يفك شريط شعرها الذي انسدل بين أصابعه:
"اذا ماذا؟ استمري ياعروستي الجميلة الصغيرة. تكلمي بينما تتآلفين مع المرات الأولى بين رجل وأمرأة."
"لكنها المرة الأولى بالنسبة الي ياجاسون. اما بالنسبة اليك فهي ليست كذلك."
وأحست أنه بدأ يتوتر فقالت:
"لم أقصد هذا، حاول ان تفهمني. اني أدرك أنك لابد قد عرفت نساء أخريات، وأنه كانت لك علاقات قبل أن تلقاني. لكني أنا لم تكن لي علاقات، لذا فأنا لست واثقة مما تريده مني."
"اعتقد ان هذه بحار لا يجب أن نغامر بالخوض فيها، لن انكر الماضي، لكنه آخر شيء أود تذكره في هذه اللحظة."
"ان الامر كما تقول، ولا أود أن أخذلك أبدا."
"من قال أي شيء عن الخذلان. أنا لم أقل شيئا..."
"نعم لكن الليلة الفائتة... لماذا قلت؟"
"قلت ماذا؟"
"انك... انني لم..."
وفقد صبره فهتف بها قائلا:
"انك ماذا؟"
"انني لم أستجب لك."
"كان هذا في الليلة الفائتة. وهو خارج عن سياق حديثنا تماماً. هل دائما تستشهدين بموضوعات من خارج السياق، ياحبيبتي؟"
"كلا.. لكن.. لم أقصد انك فكرت أني لم أكن أريدك."

"لا أعتقد أنك كنت متأكدة من أي شيء حينذاك."
"أردت أن أعرف فحسب."
"فهمت ما تريدين."

ومضت يداه تعزفان موسيقى الحب وهو يهمس:

"ألم تسمعي من يقول ان لكل شيء أوانه؟"

ورفع ذقنها بيده وهو يحدق في وجهها بحب.

وذهبا الى غرفتها حيث تبددت مخاوفها وشكوكها في الليل المكسيكي الدافىء والمظلم. وقالت:

"من الأفضل أن نرسل بالبطاقات غدا والا سنعود الى الوطن قبلها."
"هل هذا مهم؟"
"نعم ويجب ألا ننسى ارسال واحدة الى ليبي. هل تعتقد أنها ستهتم."
"تهتم بماذا؟"
"فيما يتعلق بي. أقصد أنها اعتادت أن تدير بيتك خلال فترة طويلة."
"لماذا تهتم؟ ألا يحسن أن تنامي ياسيدتي؟"
"لا أستطيع ان الوقت أثمن من أن نضيعه في النوم. ألا تعرف هذا؟ لقد أنقضى نهار بأكمله ونحو ليلتين وبقي لدينا أربعة أيام فقط، لا أريدها أن تنقضي سريعا. بل لا أريدها أن تنقضي أبدا."

وقام بحركة مفاجئة أفزعتها وسند نفسه على كوعه ونظر اليها وهو يقول:

"عيناك تضيئان في الظلام... لماذا تضحكين؟"
"لم أضحك، لقد أكتشفت أن شيئا سمعته يبدو حقيقيا..."
"أوه، ما هو؟"
"ان الرجال عادة يودون أن يناموا بعد..."
"وأن النساء يردن عادة أن يثرثرن..."

٩ – صورة في مجلة

قال جاسون وهو يلتقط محفظة أوراقه الجلدية:

"سأتأخر الليلة، فلا تنتظريني."

ورغم قرارها ألا تكون زوجة فضولية أو تهوى الاستجوابات، فانها لم تستطع أن تخفي ضيقها، وقالت:

"هل ستتأخر كثيرا؟"
"مندوب شركة "آي. ايه. كومبونانت" سيصل متأخرا هذا المساء، وسنتعشى معه في النادي. لكنه سيسافر الى بروكسل غدا وعندئذ قد تهدأ الأمور لبضعة أيام ياحلوتي نخرج خلالها ذات ليلة."

لم يحذرها أن الزواج قد ينطوي على هذا النوع من الوحدة، ولو همس لها أحد بمثل هذا التحذير لشكلت في الأمر، لانها كانت تعتقد أن جوهر الزواج هو الحب والمشاركة والرفقة. وبعد أن انتهت من افطارها، بدأت تتوتر مرة أخرى لتفكيرها في الساعات الطويلة التي تقضيها وحيدة قبل عودة جاسون.

وقامت ووضعت الأطباق على العربة المتحركة. وأسرعت اليها ليبي من المطبخ وهي تقول لها:

"اتركي هذا لي ياسيدة ستيل."
"ليس لدي ما أفعله هذا الصباح. وفي اي حال يتعين علي أن أتعلم أداء الأعمال المنزلية. فأنا لا أتصور أن أكون زوجة لا فائدة منها."

ابتسمت ليبي ولم تعلق. وبعد قليل سألتها عما تريده في قائمة الطعام. فقالت لها ان جاسون لديه ارتباطات هذه الليلة وانها ستكتفي بما هو موجود، فردت ليبي قائلة:
"اعداد الطعام لشخص واحد لا يفترق عن اعداده لشخصين. فماذا تحبين؟"
"كلا بل يختلف، لان اعداده لشخصين يعني أن جاسون سيأكله معي."
فقالت لها ليبي بلهجة تعاطف معها:
"تزوجت رجلا مهماً. وطوال السنوات التي عملت فيها معه، لم يكن لديه وقت فراغ يذكر."
"أحياناً أود لو أنه لم يكن بمثل هذه الأهمية. أنا أعرف أنه يتحمل مسؤولية ضخمة، لكنه يرهق نفسه. هل هذا جرس الباب؟"
"سأذهب لأفتحه."
ومرت لحظات سمعت ميراندا خلالها حديثاً متبادلا، لكن بعد المطبخ عن الباب الرئيسي للمنزل لم يمكنها من أن تتبين ما يقال. وبعد قليل جاءتها ليبي وهو تقول:
"انها السيدة لندسترن ياسيدتي."
وجعلها شيء ما في النغمة التي قالت بها ليبي هذه الجملة، تبدو عابسة وتنظر اليها بحدة وتسألها:
"السيدة... وهل عرفتها من قبل؟"
"لا أستطيع أن أحدد يا سيدتي، أستطيع أن أقول لها أنك على وشك الخروج، اذا كنت مشغولة لدرجة لا تمكنك من التحدث اليها."
"كلا، من الأفضل أن أرى ما تريد، لعلها شخص.."
ولم تنطق بالعبارة التالية المكملة من معارف جاسون اذ بدت ليبي وكأنها تريد التملص من الموضوع، أم أن ميراندا توهمت ذلك؟ لا شك أن ليبي تعرف الزائرة، لكن اذا كانت من معارف جاسون فلماذا لم تقل ليبي هذا؟

وأسرعت ميراندا الى المدخل، ولسبب لا تدريه كان قلبها يخفق بعنف واحساسها يتزايد ضيقاً مما جعلها متوترة. ووقفت لحظة أمام المرآة لتلقي نظرة سريعة على شكلها وأخذت نفساً عميقاً قبل أن تفتح باب غرفة الجلوس لترى الزائرة. ونهضت هذه برشاقة وأقبلت مسرعة نحو ميراندا، وهي تقول:
"سامحيني لتطفلي عليك في هذه الساعة وبدون سابق انذار، وتلك حماقة مني. هل أنت زوجة جاسون."
"نعم... ياسيدة لندسترن اجلسي لو سمحت."
"شكرا لك.. اسمي اليسيا، لكن أصدقائي يدعونني ليسا، كنت أتطلع الى لقائك. لقد كنا مسافرين في الجزر اليونانية عند زواجكما، ودهشنا بصورة بالغة عندما رجعنا من أسبوعين وسمعنا أن جاسون تزوج. اننا أصدقاء قدامى، وهو وزوجي درسا معاً، لا أعرف اذا كان جاسون حدثك عنا، لكن كان علي ان أجيء وأن أقدم تهانينا..."
كان للزائرة طريقتها في اقامة العلاقات واسقاط حواجز الغربة في وقت يسير.
وابتسمت لها ميراندا وهي تقول بصراحة:
"لا أذكر أن جاسون تحدث عنك او عن زوجك، لكن ربما فعل ونسيت هل لديك وقت لتناول بعض القهوة سيدة لندسترن."
"أود ذلك فعلا، لكن أرجو أن تدعيني باسم ليسا لو سمحت كما يفعل الجميع."
وذهبت ميراندا لتطلب من ليبي اعداد القهوة، وجلست ليسا جلسة استرخاء وبدأت تروي ميزات قضاء العطلات في الجزر اليونانية، وعندما جاءت ليبي تلعثمت، ونظرت كلاهما الى الاخرى. ولمحت ميراندا هذه النظرة وأحست برجفة الحيرة. وتوهمت أنها ترى نظرة التحدي في عيني ليسا، وعدم الترحيب البارد في عيني ليبي وقالت ليسا:
"ليبي لا تنسى أبدا، فهي تتذكر أني أحب القهوة بلا حليب."

وردت ليبي وهي تضحك:

"اني أحتفظ بقائمة في المطبخ بما يحبه وما يكرهه ضيوف السيد ستيل فتلك هي الطريقة الوحيدة للتذكر."

ومضت في طريقها وبعد أن انتهت ليسا من قهوتها سألت:

"هل أنتما خاليان في عطلة نهاية الأسبوع؟"

"لست متأكدة، أنا خالية، لكني لا أعرف ما اذا كان جاسون خاليا أم لا."

"سيكون عليه أن يخلي نفسه. فأنا أريد أن تشرفانا في عطلة نهاية الاسبوع هذه، لأننا سنقيم احتفالا بزواجكما. فالجميع يتطلعون الى الالتقاء بك."

"هذا كرم منكما، وسأخطرك بظروفنا."

"سأترك لك رقم التليفون، والآن أريد وعدا بأنك ستأتين، قولي لجاسون أن عليه أن يبقى خلال عطلة نهاية الاسبوع هذه خالياً من الارتباطات والعمل. يالسماوات علي أن أسرع فقد تأخرت."

واخذت ميراندا صينية القهوة وذهبت الى المطبخ. كانت ليبي قد ذهبت الى المتجر. وقررت ميراندا أن تخرج بنفسها لشراء بعض الحاجيات، وتركت مذكرة بذلك لليبي وأفهمتها ألا تعدلها غداء لانها ستأكل أي شيء في الخارج.

ومضت تتفرج على المحلات واشترت بعض اشياء لجاسون وعددا من الاسطوانات. وانقضى اليوم بدون أن تشعر به، وعادت الى المنزل في السادسة. نسيت زائرة الصباح وأخبرتها ليبي عن أنواع الاطعمة المعدة والتي يمكنها تناولها متى أرادت. وبعد انصراف ليبي جلست ميراندا تستمع الى الأسطوانات، وأحست بأنها لم تعد وحيدة فالموسيقى معها. وبعد ذلك غسلت شعرها واعتنت بأظافرها، ثم جلست تنتظر جاسون. وفي الساعة العاشرة سمعت صوت باب الكاراج يغلق فأسرعت الى المدخل لملاقاته وهي ترتدي ثوباً طويلا من الشيفون الأزرق يتطاير حولها، وألقت بنفسها بين ذراعيه فسألها:

"هل افتقدتني؟"

"أنا مسرورة لأنك لم تتأخر أكثر من هذا."

"شعر ضيفنا بالارهاق نتيجة السفر، ومن ثم اقتصرت الأمسية على المناقشات الأساسية. هل أمضيت يوماً طيباً."

"رائع، لقد ذهبت للتسوق واشتريت لك هديتين."

وأسرعت الى غرفة الجلوس وأعطتهما له وهما يمضيان الى غرفة نومها، وهو يقول لها:

"انه ليس عيد ميلادي."

"كلا... هل تريد شيئا تأكله؟"

"كلا شكرا."

وجلس ليفتح الهديتين وأخرج أدوات الزينة التي أحضرتها وهو يقول لها:

"شكرا لك، أين الضمان؟"

"أي ضمان؟"

"أليست تلك الانواع هي التي تضمن أن الرجل لن تستطيع النساء مقاومته؟ هل سأحدث حالة من الاضطراب لو ركبت المترو بعد استخدامها؟!"

"انك نادرا ما تستخدم المترو."

"يجب أن أجربها حالا، في هذه اللحظة."

"في هذه الحالة لن أنال منك شيئا."

وتظاهرت بأنها غير مبالية ووقفت وهي تعرف أنه سيقبض على معصمها ويسحبها اليه. كانت تلك هي قواعد اللعبة بينهما وبالفعل حدث هذا وسقطت بين ذراعيه وهو يغمغم:

"ربما قلت أنه ليس هناك ما يمكن أن تأخذيه مني، لكني لم أقل انه ليس هناك ما تستطيعين أن تمنحيه لي."

"أوه... ربما حصلت على الانطباع الخاطىء."

"تلك مشكلتك... واحرصي على ألا يتكرر ذلك."

وأحست بأن عصابة شعرها المخملية تنزلق من على رأسها

تحت سيطرة يديه٠ وجاست أصابعه في شعرها الحريري٠

وبعد فترة طويلة كانت مستلقية في سرور وهي نصف مستيقظة٠ ودقت ساعة الردهة معلنة منتصف الليل فسألته:

"جاسون، هل مازلت مستيقظا٠"

"لم أكن مستيقظا، لكني استيقظت الآن٠"

"لقد تذكرت٠٠٠"

فالتفت اليها وهو يقول:

"أود لو تفقدين ذاكرتك ليلا٠ هل الأمر هام؟"

"كلا، جاءت امرأة هذا الصباح، امرأة أنت تعرفها يا حبيبي، اسمها السيدة لندسترن٠"

فهتف حانقاً:

"ماذا كانت تريد؟"

"جاءت تبلغنا أمنياتها لنا بالسعادة٠ كانت هي وزوجها في أجازة ودعتنا لنمضي عطلة نهاية الاسبوع معهما٠ وقلت٠٠٠ ما بالك ياجاسون؟"

"وأنت لم تقبلي؟ أليس كذلك؟"

"حسنا٠٠٠ نعم٠٠٠ على الاقل قلت اننا سنذهب اذا كنت خاليا٠"

"ليس لدينا وقت٠ ومستقبلا اسأليني قبل قبول دعوات أناس لم تقابليهم من قبل٠"

"لكنك تعرفهما، أليس كذلك؟ كنت زميل زو جها في الدراسة أو شيئا من هذا القبيل، ولماذا أنت غاضب؟"

"لست غاضباً٠"

"أنا آسفة، ظننتها٠٠٠"

"من أجل السماء، دعينا ننام٠"

وأولاها ظهره واضعا وسادة فوق رأسه٠

وفي الصباح لم تكن استجاباته على الافطار ودية، واضطرت للكف عن التظاهر بأن شيئا لم يحدث، وغرقت في صمت تعس٠ وأخيرا نظر اليها وهو يقول:

"سألغي هذه الدعوة فانسيها٠"

"كما تريد، فلا يهمني أن نذهب أم لا٠"

ولأول مرة لاحظ أن طعامها كما هو لم يمس فقال بحدة:

"لم لم تأكلي شيئا٠"

"لست جائعة٠"

"بالمناسبة هل حجزت موعدا مع طبيب الاسنان؟"

"لا٠"

"سأرتب لك أن تري طبيبي، اليوم اذا كان ممكنا، انه رائع٠"

"نعم، لكن ليس اليوم، فسأذهب الى مصفف الشعر٠"

"غدا اذن٠"

"سأقابل سوزان لتناول طعام الغداء، فلم أرها منذ وقت طويل٠"

"ان هذا سيجرنا الى عطلة نهاية الأسبوع، كلا يا ميراندا، لن نمضي أسبوعا آخر يقض فيه الم الأسنان مضاجعنا ليلا٠ فليس هناك معنى لأن نعيش بألم يمكن علاجه، سأتصل بك من المكتب في العاشرة لأخطرك بالموعد، وعليك أن ترتبي مواعيدك الأخرى في ضوء هذا٠"

وبعد ذهابه أخذت تفكر في مبعث غضبه، ولما تعبت داعبها الأمل في أن يكون عاد لطبيعته عند رجوعه مساء٠ واتصلت الآنسة مايو تقول لها أن موعدها مع طبيب الأسنان تحدد له اليوم التالي الساعة الثالثة والربع بعد الظهر٠ وفي المساء جاء جاسون بحقيبة مليئة بأوراق العمل اختفى بها في المكتب عقب العشاء مباشرة، ولحق بها في التاسعة، ولم يخبرها بشيء عن الدعوة ولم تخاطر بسؤاله٠ ماذا يسوؤه فيما يتعلق بآل لندسترن٠ وتذكرت الرجفة التي انتابتها وهي ذاهبة للقاء ليسا والنظرات المتبادلة بين هذه وبين ليبي٠

وفي اليوم التالي ذهبت للقاء سوزان في كافيتريا٠ كانت أول مرة تنفرد فيها بسوزان منذ زواجها ولديها أشياء

كثيرة تود محادثتها عنها وقالت لها سوزان:
"الجميع يسألون عنك خاصة رينا هارفي".
"من تلسعه بلسانها اللاذع حالياً؟"
ولم تقل لها سوزان أنها هي، أي ميراندا، التي تشكل موضوع الحديث والرهان حول مدى دوام زواجها بجاسون. وأن رينا تقدر لها سنتين على الأكثر. لكن سوزان حكت لميراند عن تدخلات وأقاويل رينا عن علاقة سوزان وراي وبدت سوزان مضطربة لا يقر لها قرار ثم قالت:
"لا ادري كيف أقول هذا، لكن يجب أن أقول، لم يكن من الواجب أن أكرر تلك الأشياء التي قلتها لك قبل زواجك. لكني أعتقد أن علي أن افعل، أن أحذرك، لأنه بعدئذ..."
وشحب لون ميراندا وهي تقول:
"ماذا تعنين بكلمة بعدئذ؟"
"حسنا، كنت ستصبحين تعسة لأقصى حد، وسيكون هذا خطأي لأني أعتقد أنه كان حقيقياً، أنت تعرفين أن رينا صديقة لموني تريفرز وهذا صديق لا مبروز وهو بدوره صديق لفريزر."
وتدخلت ميراندا قائلة:
"والأخير كان صديقا لجاسون قبل أن يتورط كلاهما مع كاترينا كاي. أعرف هذا. لكن كان من المتفق أن ينقل فريزر الى روما قبل أن يحدث هذا. وسيعود الشهر المقبل وسندعوه للعشاء ذات ليلة."
"اذن فجاسون يحكي لك عن أشياء كثيرة."
"معظم الأشياء."
حقا انه يحدثها عن العمل وعن زملائه، لكنه لا يقول لها عن علاقاته الماضية. وقد قال لها ذات مرة أنها لابد وقد سمعت عن حكايته مع كاترينا، وأضاف أن الأقاويل عادة لا تحوي واحدا في المائة من الحقيقة. ونظرت ميراندا الى صديقتها التي بدت تعسة وقالت:

"جاسون لا يسمح للمسائل الشخصية أن تؤثر على العمل، لقد شعر بالضيق من مايك في ذلك الوقت، لكن لم يكن له دخل في نقله الى ايطاليا؟ ماذا تحاولين أن تخبريني به ياسوزان؟"
"هذا فقط وأنا آسفة، أنا واثقة أنها اشاعات، تروجها رينا."
"اني اتساءل هل تعرف رينا معنى كلمة ثقة لقد اخترت أن اثق فيه، انه لم يكن ليتخلى عن حريته اذا ما كان يريد أن يمضي من علاقة الى أخرى."
"اوه، أوافقك تماماً. أنا أعرف أن رينا حاقدة لأنها لم تكن، أول من يعرف. وقلت لها هذا، فقالت أنه لا دخان بدون نار مع رجل مثل جاسون."
"حقا!"
"نعم، لكني أصررت على أن تخبرني لأني شعرت انه آن الأوان لمعرفة ما اذا كانت هناك حقائق فعلية وراء تلك الغمزات التي تلقي بها. لقد بدأ الأمر في الليلة التي ذهبت فيها رينا الى المسرح مع صديق لها. وكان هذا هو الأسبوع الذي عاد فيه جاسون من ستوكهولم. على أية حال ففي الاستراحة ذهبت رينا للحصول على شراب ورأت..."
فهتفت ميراندا بحدة مقاطعة:
"كلا."
"ما بالك؟"
"لا شيء، لكني لا ريد سماع المزيد من حكايات رينا ولا أهتم بمن رأت مع زوجي، لا أريد مناقشة هذا، انتهينا."
"نعم أعرف هذا، لكني أعتقد أنك يجب أن تعرفي، لتستقيم الامور ولهذا فأنا..."
"ليس هناك ما يتعين تقويمه. ان ما فعله جاسون قبل زواجي لا يعنيني من فضلك انسي هذا."
"انا آسفة."
وبعد فترة صمت سألت ميراندا سوزان:
"متى ستأخذين أجازتك؟"

"خلال اسبوعين، هل صفحت عني؟"
"من أجل ماذا؟"
"أنت تعرفين."
"بالطبع صفحت عنك والا لما كنت أتغدى معك اليوم، لقد فعلت ما تصورته صواباً. والآن لننس هذا."

وبعد أن فرغا من تناول القهوة هرعت سوزان لعملها وذهبت ميراندا الى طبيب الاسنان. وصلت مبكرة فجلست في غرفة الانتظار، وسرعان ما أخذت تفكر فيما كانت سوزان تود أن تقوله. ومدت يدها وتناولت مجلة ثم ألقتها ثانية، وبعد ذلك أخذتها ثانية، وأخذت تتصفحها حتى وصلت الى باب أخبار المجتمع والاشاعات واسترعت انتباهها صورة اسم معين. كانت صورة على نصف صفحة لكاترينا كاي وتأملتها وهي لا تشعر بالغيرة. ثم بدأت تقرأ كلام الصورة فأحست بالصدمة فقد جاء فيه:

"فليذهب القديم الى حيث شاء، فقد أقام فارسنا علاقة حب جديدة تحكي قصته الصورة المنشورة الى اليسار، وفيها فارسنا يبدو غير مهتم بما مضى، ولماذا يهتم، فقد عادت الى ذراعيه السيدة اليسيا لاندسترن انه فتى شركة كارونا ستيل."

اسقطت ميراندا المجلة... اليسا! بدأت الصورة تتكامل، تلك هي الفتاة التي اعتادا الحديث عنها. انها مصدر الاشاعات التي ترويها رينا هارفي... انها هي المرأة المتزوجة.

واجتاحتها أمواج الرعب، رغم جهادها لاستعادة رباطة جأشها والسيطرة على شكوكها. لا يمكن أن يكون هذا حقيقياً. انها مبالغة انها مجلة قديمة، والتاريخ يؤكد هذا وبحثت عن التاريخ فوجدت أنه عشرين نيسان (ابريل). انها ليست قديمة. بل صدرت بعد أسبوع من زواجها. لكن متى أخذت الصورة؟ ألا يستغرق طبع المجلة أسابيع، لكن ليس،

كل المجلات كذلك، لا شك أنها التقطت قبل تلك الليلة التي قدم فيها اقتراحه بالزواج منها. لكن اقتراحه كان مفاجئا وجاء تحت تأثير مفاجأة السيدة سوندرز لهما. هل ما يزال يحب ليسا؟ هل هذا تفسير تصرفه ازاء دعوتها هذا الاسبوع؟
ونادت عليها الممرضة، ولما رأت اضطرابها عزته الى خوفها من الدخول لطبيب الاسنان، فحاولت طمأنتها.

وبعد قليل خرجت بحشو جديد لسنها قضى على الآلام، لكنها كانت قد اصيبت بألم في مكان آخر لا يفلح شيء في التخفيف منه. وكانت غرفة الانتظار خالية، فنظرت حولها لتطمئن أن أحدا لا يراها وسرقت المجلة وخرجت لا تلوي على شيء.

١٠ - الرحلتان

كان الغلاف الأسود الفضي اللامع لتلك المجلة مبعث أرق ميراندا خلال الاسابيع التي تلت ذلك، وأصبحت كل تفاصيل الصورة المنشورة في الصفحة السابعة والثلاثين محفورة في ذهنها، وكانت طوال طريق العودة الى البيت في ذلك المساء، مصممة ان تسأل جاسون متى قابل ليسا آخر مرة، لكن عندما حان الوقت وسألها عن نتيجة فحص اسنانها لم تجد كلاما تصوغ به سؤالها. ولا شك انه كان من السهل عليها أن تقول ببساطة:

"كانت هناك مجلة في حجرة الانتظار... انظر."

وتريها له وتنتظر تعليقه. لكن ذلك كان شأنه شأن كثير من الأمور النظرية التي يصعب تنفيذها عملياً.

اخفت المجلة في درج طاولة الزينة، وحاولت أن تنسى وجودها وأكد لها احساسها أنه ليس لديها مبرر أن تشك في اخلاص جاسون، وأنها ستكون حمقاء لو سمحت للشكوك أن تسمم حياتها وزواجها. لكن رغم هذه المحاولات أحست أن شيئا بدأ يذبل في العلاقة الجديدة الهشة بينها وبين جاسون. وكثيرا ما كانت تتذكر تلك الأمسية السعيدة التي انتهت نهاية غير سعيدة عندما تذكرت زيارة ليسا، ورغم أن ليسا لم تتصل وهي لم تذكرها، احست أن شبحها شيء ملموس يجثم في طريقها. وأيقنت أن جاسون لا شك لاحظ تحفظها

ازاءه لكنه لم يعلق أبداً على ذلك.

وفي صباح أحد أيام شهر حزيران يونيو، نظر اليها من فوق رسالة أخرجها من بريد الصباح الشخصي، وقال لها فجأة:

"اننا نحتاج الى راحة قصيرة، وعلينا أن نأخذها قبل هذا."

وناولها الرسالة وتأملتها فوجدت انها بطاقة فضية، وليس رسالة وقرأت ما فيها ثم قالت مندهشة:

"عيد زواجهما الياقوتي، اي الأربعين، أليس كذلك؟"

فأومأ قائلا:

"انه رئيسنا شارل. عاش هو وزوجته طوال أربعين عاما في جنة زوجية، وأعترف بأنهما يستحقان احتفالا."

وتظاهرت بأنها لم تلحظ نغمة السخرية في صوته. واضاف:

"اننا مدعوان في العاشر من الشهر المقبل. آمل الا تكوني مشغولة."

"لن أنشغل عن هذه المناسبة فأنا لا أجرؤ على التخلف عنها. وأعتقد أنهم يخططون لحفل رائع."

"نعم... وأعتقد أننا يجب أن نغتنم فترة قصيرة للراحة الآن، لأن ذلك لن يتاح فيما بعد."

"نعم أنت محقة في ذلك أن تأخذ فترة راحة هذا العام."

قلت لي أنك لم تأخذ أجازة منذ عامين."

"أنا أفكر فيك أساسا أين تودين الذهاب؟"

"اي مكان، وأفضل مكاناً هادئاً."

"وأنا أيضا، هل نذهب خارج لندن؟"

"اذا أردت. اين تريد أن تذهب؟ فهي أجازتك مثلما هي أجازتي."

"حسنا، أعتقد أننا يمكن أن نذهب الى هايلاندز. هناك مسكن جميل أذهب اليه أحيانا، في احدى القرى. ويطل على غابة. وهناك نهر قريب، صيد السمك فيه متعة. ولا توجد هناك تليفونات، وعلى الانسان أن يسير نصف ميل لأجراء مخابرة، أو يقود السيارة عدة أميال الى القرية. ان

المشاهد هناك ليست من هذا العالم، وعندما أقول أنه هادىء فأنا أعني هذا تماماً، لذا فقد يصيبك الملل بعد يومين."

"من وصفك له يبدو رائعا، وقد أردت دائما الذهاب الى الهايلاندز فلنذهب اذا استطعت ترتيب هذا."

"أستطيع أن أنظم هذا فورا."

"هل أخطر ليبي لترتب أمورها."

"نعم. وبالمناسبة علينا أن نشتري الهدية التي سنقدمها للسير شارل في أحد أيام هذا الأسبوع؟ هل لديك فكرة؟"

لم يكن لديها أفكار جاهزة. وبعد بضعة أيام ذهبا لشراء هدية تليق بهذه المناسبة، وبعد طول بحث اختارا كأساً فينيسية قديمة ونادرة من كريستال الياقوت، تكلف مبلغاً باهظاً حتى أن ميراندا رفضت حملها، لكن جاسون فعل ذلك بلا اهتمام أو عناية مما أرعبها، وقال انه سيطلب من الآنسة مايو أن تذهب بها شخصياً الى بيت الرئيس. ومع اقتراب الرحلة شعرت بأنها أسعد حالا مما كانت منذ عدة أسابيع. وكان الجو دافئاً ومبشراً بصحوة والتنبؤات تبشر بموجة حارة.

كانت الشمس قد غربت عندما وصلا الى المسكن. وأصبح الصمت مطبقا بعد توقف محرك السيارة، وسمعت ميراندا صوت مياه غدير قريب. وكان عليهما حمل المؤن وتفريغ الاكياس وتفقد المسكن واعداد الطعام واضاءة المصابيح. وقالت له:

"لم تقل لي أنه ليست بالمسكن كهرباء."

"كلا، لكني حذرتك من أنك قد تملين."

وهزت رأسها وهي ترقبه يتفقد الكوخ وسألته:

"كنت راغباً للغاية في أن تجيء الى هنا."

وعندما أومأ موافقا، أضافت:

"يمكنك أن تعلمني صيد السمك، لقد أحببت هذه الهواية دائماً."

كانت تريد أن تصدق أنها ستجد خلال هذه الأيام

الهادئة رفقة جديدة مع جاسون. وفي الايام الثلاث الأولى لم يريا مخلوقاً آخر، ولم تحس أبدا بالملل ووجدت الكثير تستكشفه وتفعله فكانت الأيام تمضي سريعاً. وكان الغدير من الأماكن المفضلة لديها، ويقع على مسافة قصيرة من الكوخ. ويبدو كأنه كريستال دبت فيه الحياة. كان منظر الغابة أول ما تمتع به عينيها عند استيقاظها في الصباح. وكان هناك شاطىء رملي صغير يسبحان في مياهه الباردة كما كانا يستمتعان بالتمدد في الشمس ساعات طويلة.

ونسيت شكوكها تقريباً، ونجحت في محو ليسا من ذاكرتها. وعندما انتهى الاسبوع الاول أسفت لانه بقي لهما من الأجازة ثلاثة أيام فحسب، فحرصا على الاستمتاع بها لأقصى حد. وجاء اليوم الأخير حاراً للغاية فاتفقا على أن يقضياه في استرخاء بجانب البحيرة، وفعلا ذلك. وعندما رفعت بصرها اليه على حين غرة وجدته يتفرس فيها ملياً فسألته:

"ما بالك؟"

"لا شيء، لكنك تبدين منطوية في الآونة الأخيرة."

"كلا، لست كذلك."

"لست أقصد هذا، وانما أقصد قبل أن نأتي الى هنا، كأنما هناك شيء يقلقك."

"لا أظن."

وحرك رأسه كمن لا يوافق وفي الوقت نفسه لا يود المضي في الجدل. ونظر للبحيرة وهو يقول:

"أعتقد أنك لست..."

"لست ماذا..."

"لست تعانين أعراض الزوجية."

"أوه، كلا لست أعاني من هذا. لن يكون لي طفل اذا كان ذلك هو ما يقلقك."

"ليس ذلك ما يقلقني، انما أحاول اكتشاف ما اذا كان

هناك شيء يقلقك."

شعرت بانقباض، وبحذر في أطرافها السفلى، رغم الشمس الحارة. تلك هي الفرصة المثلى لفتح الموضوع. ولا خوف من المقاطعة، لا هاتف ولا استدعاء لدوائر الأعمال، وهو يوليها اهتمامه كاملا، تلك هي اللحظة التي يتعين عليها فيها أن تجلس وتقول: "نعم، أنا قلقة، مذعورة، لانك ربما مازلت تحب فتاة تسمى ليسا، فكل الدلائل تشير الى أنه كانت لك علاقة غرامية بها حتى عشية زواجنا، وربما حتى الآن، اني أعرف كل شيء، وأنت لم تقل لي أبداً حتى الآن أني أهم لك من أي امرأة أخرى في العالم، وأن دافعك الوحيد للزواج مني هو حبك لي وليس لانك كنت تريدني، لأن هناك فارقاً بين الأمرين لديك". لكن لم يخرج من شفتيها أي من هذه الأفكار التي ظلت تعذبها والواقع أنها لم تجرؤ. فهي ما زالت لا تعرف الكثير عن الرجل الذي أصبح زوجها بدرجة تمكنها من التنبؤ بالنتيجة وقال لها فجأة:

"أعتقد أن هناك أمرا علينا أن نناقشه جدياً ذات يوم. هل تريدين أسرة؟ أحيانا أستطيع قراءة كل ما يجول في خاطرك. هل انت من النوع المحب للأمومة؟ أذكر أنك قلت مرة بصراحة أنك تريدين زواجاً وبيتاً وأطفالا."

"نعم أذكر هذا لكن هل تريد أنت اطفالا؟"

"نعم أود طفلا، ثم طفلة."

"اذن أعتقد أنه علي أن..."

"ليس الآن، فانا أريد أن أتعود على حالة الزواج قبل أن أنتقل الى حالة الأبوة."

كانت هناك أكداس من الاشياء تنتظر عودتهما، خاصة البريد، والبطاقات التي وردت من أماكن مختلفة، وكان من بين هذه واحد لميراندا فأعطاه لها وهو يقول:

"أعتقد أنه ليس فاتورة؟"

"كلا، انه من السيدة غوردون صديقة عمتي. وسأقوم ببعض الترتيبات الخاصة بأشيائي."

"أي أشياء؟"

"بعض الأثاث."

"هل تريدين احضارها هنا؟"

"نعم، لأن السيدة غوردون تود احضار اختها لتعيش معها وتحتاج الى الغرفة."

"حسنا، ما هي المشكلة؟ لدينا الكثير من الغرف الاضافية في الطابق العلوي يمكن أن يوضع فيها كنز طفولتك، اذا لم تكوني تريدين التخلي عنه. وربما نستطيع أن نجد مكانا للاشياء الأخرى."

"الحقيقة كنت أتساءل عن هذا، ولا أرى أن حاجيات العمة هيستر تناسب هذا المكان، انها طراز يناسب الأكواخ. والسيدة غوردون تقول أن موظف مكتب البريد مهتم بها ويريد شراءها."

"كلا، لا تبيعي شيئا حتى ألقي نظرة عليه. من الأفضل أن نذهب الى هناك في أول فرصة، فالبعض من هذه الاشياء قد يكون قيماً لاقصى حد."

وبعد يومين ذهبا الى ايفشام وتغديا هناك، ثم ذهبا الى بيت السيدة غوردون وبعد انتهاء عمليات الترحيب، فحص جاسون الاغراض وقال أنه سيرسل سيارة لتحمل القطع الضخمة منها أما الاشياء الصغيرة فسيأخذانها معهما في السيارة.

سعدت ميراندا كثيرا بزيارة مسقط رأسها، وزادها سروراً روح جاسون المجاملة ومداعباته. لكن ذلك لم يدم طويلا، ففي المساء أبلغها أنه سيسافر في الأسبوع التالي، فقالت وهي تحس بالضيق:

"أوه، كلا، هل ستسافر مرة أخرى؟"

"نعم. ولا يمكن القول اني سعيت الى هذا، فروما ستكون ناراً اذا استمر هذا المناخ."

"كم ستبقى هناك؟"

"يومين في روما ومثلهما في بون."

وساد الصمت لوهلة ثم تحرك الى جانبها ووضع يده على كتفها وهو يقول:

"لماذا لا تذهبين الى الكوخ لمدة أسبوع؟ اخرجي من لندن بحثا عن التغيير."

"لقد عدنا تواً من هناك."

"ومع ذلك يبدو أننا رجعنا منذ سنين."

كان على حق في ذلك، فتلك الأيام العشرة لا تعوض. لكنها غمغمت:

"هل أذهب لوحدي؟"

"خذي ليبي سترعاك، وان استطعت أنا فسألحق بكما فور عودتي."

وبعد لحظة أضاف:

"فكرت ان حاجيات عمتك ستكون مثالية هناك. سأتصل بالشركة الشاحنة صباحاً وأعطي التعليمات لنقلها الى هناك لكن لابد أن تكوني إنت قد ذهبت الى الكوخ، ومن ثم تستطيعين أنت وليبي تسلية أنفسكما بتغيير الأوضاع هناك."

وغمغمت موافقة ثم قالت:

"لنفرض أني أخذت ليبي، ثم عدت أنت مبكراً عما تتوقع، فمن سيهتم بك؟"

"أنا؟ أنا لست ذلك العاجز ياحبيبتي."

وهكذا تم ترتيب الأمر. وسافر جاسون يوم الاثنين، وكان قد اقترح أن يوصلهما بنفسه في اليوم السابق، لكن ميراندا رفضت. فقد أرادت ان تراه حتى آخر لحظة، ثم تسافر بالقطار بعد الغداء. ووافق على مضض، فشجعها هذا أن تقترح توصيله الى المطار، فرفض بحزم، فقالت:

"أنا أعرف السبب فأنت لا تريد أن يراك احد وأنت تسافر ولا أن يستقبلك أحد عند العودة. لكن أرجو أن تسمح لي بذلك مرة واحدة فحسب، أعطني فرصة وداع زوجي متمنية له السلامة مثلما تفعل الزوجات. وبعد ذلك سأقنع بمشاهدتك وأنت راحل من نافذة البيت وبانتظار تليفون منك بأنك في طريقك الى المنزل."

"حسنا لكن هذا لا لزوم له في رأيي. كل هذا من اجل قبلة عاطفية وأمم الارض كلها ترقبك من حولك. ولو كنت تعرفين قيادة السيارة لهان الأمر، لكنه يتعين عليك البحث عن وسيلة للعودة. هل يستحق الامر كل هذا؟"

"اعتقد هذا. أرجوك."

"حسناً، لكل شيخ طريقته!"

وبالفعل حصلت على القبلة العاطفية. وقالت تلك الكلمات التي تقولها الزوجات والتي كانت تتطلع الى أن تقولها، وبعد ذلك بقليل شاهدت الطائرة تقلع. ولكن عندئذ بدأت الشكوك والمخاوف تعتصر قلبها، لأنها رأت امرأتين عن بعد احداهما عجوز والأخرى شابة تتحدثان معا، وعندما نودي على رحلة روما قبلت الواحدة منهما الأخرى وسارت الشابة الى الطائرة:

"لقد كانت ليسا."

١١ - همس في الظلال

حاولت ميراندا أن تقنع نفسها بأنها أخطأت. قابلت ليسا مرة واحدة فقط، والمرأة التي شاهدتها في المطار رأتها من الجانب ثم من الخلف في تلك اللحظات التي تسبق الدعوة لركوب الطائرة: وربما كان شخصا يشبهها. لكنها كانت تعرف أنها لم تخطىء وحين رأت رفيقة ليسا عندما كانت تغادر المطار، أحست بعدم جدوى محاولتها خداع النفس فقد أدركت من الشبه الواضح أنها أم ليسا وكانت ليسا أيضا على الطائرة نفسها، وربما في المقعد نفسه مع جاسون، وربما تتحدث اليه الآن وتشاركه الشراب، وترتب للالتقاء به في روما، ان لم تكن الأمور قد رتبت من قبل.

وحاولت التخلص من الشكوك. فربما لا تكون ليسا ذاهبة الى روما، بل الى باريس او...

كانت ما تزال قلقة مشتتة البال خلال رحلة القطار الى الكوخ في ذلك المساء، فلم تستطع أن تنسى الفتاة الرشيقة الهيفاء التي كانت تسير أمام جاسون، وكرهت نفسها لأنها لا تستطيع التغلب على مخاوفها. وتشبثت بأمل أن يحدثها تليفونياً هذه الليلة وأن يبدد صوته مخاوفها. لكن ذلك لم يحدث. وبدت الأيام التالية لا نهاية لها. وحاولت أن تبدو طبيعية بسب وجود ليبي، وتمنت لو كانت قد أصرت على بقاء ليبي في بايرون سكوير. فلو كانت لوحدها لكفت عن

التظاهر. كما أن ذلك كان سيتيح لها فرصة تنفيذ فكرة واتتها في رحلة العودة بالقطار، لكن لا يمكن تنفيذها وليبي موجودة.

ويوم الأربعاء أعلنت ليبي أنها ستذهب الى القرية لشراء بعض الحاجيات، فكان لدى ميراندا نصف ساعة حرة. وبعد أن اطمأنت الى ذهاب ليبي أخذت بطاقة ليسا من حقيبتها وجلست الى التليفون. ولبرهة نظرت الى الاسم والعنوان المطبوعين، والى ملحوظة صغيرة مكتوبة بخط يد ليسا تشمل رقماً ثانياً وأمامه عبارة رقم منزل أمي، وتذكرت قول ليسا انه يمكن الاتصال بها هناك عندما تكون في المدينة، وهو ما يحدث عادة.

وطلبت الرقم وفوجئت بالنمرة ترد فورا وصوت رجل يقول:

"نعم، هنا لندسترن".

"هل أستطيع أن أتحدث الى السيدة لندسترن لو سمحت".

"أخشى أنه لا يمكن، فهي في روما. هل من خدمة أؤديها؟"

"كلا، ان الأمر ليس هاماً على الاطلاق. انا آسفة لازعاجك ياسيد لندسترن".

"كلا على الاطلاق. لقد هرعت ليسا الى هناك لأن أختها تتوقع اول طفل لها، أخشى أني لم أتعرف على صوتك، فهل كان في مقدوري ذلك؟"

"كلا، فاننا لم نلتق".

وبلعت ميراندا ريقها وودت لو أنها لم تبدأ كل هذا. ولم يكن هناك مناص من تقديم نفسها وفعلت ذلك وساد صمت لحظة، ثم أفلتت منه صيحة اندهاش، وقام بالحديث التقليدي ثم أضاف:

"انا آسف أنك لن تستطيعي الاتصال بها هذا الأسبوع. لكننا نتطلع لرؤية زوجة جاسون!"

لقد تأكدت مخاوفها الآن. ليسا في روما، وجاسون في روما ومن المستحيل ألا يعرف أحدهما أن الآخر هناك. وحتى لو

كيفما اتفق على السرير وعلى الارض وحدقت فيه فقال لها:
"لا تندهشي هكذا، فسأوفر عليك نوماً مضطرباً".
وأخذ منها قدحا من الشراب وتناول قرصين من زجاجة وابتلعهما فسألته:
"ما هذا؟"
"مضاد حيوي".
"لا يمكن أن تنام هنا. ولابد أن يراك الطبيب اذا كنت..."
ومدت يدها الى جبهته فوجدته ساخناً فهتفت:
"انك تعاني من الحمى... لابد من استدعاء الطبيب".
"استدعيت طبيبا في روما، ولم أذهب الى بون، فلا تحدثي جلبة لقد مرت المرحلة السيئة".
"ماذا تتوقع مني؟ ألا أهتم؟ لا يمكن أن تبقى هنا. كن معقولا أرجوك الغرفة ساخنة وسيئة التهوئة وغير مريحة".
"هل تحاولين اغرائي، ليس الليلة ياحبيبتي".
"لم أفكر في هذا".
وبدأت في جمع الأشياء المبعثرة وسمعته يقول:
"لا تقلقي سوف أعيش. اتركيني فحسب واذهبي لتنامي".
"كلا، سأبقى هنا، لاتأكد انك على ما يرام".
"ليست هناك ضرورة لذلك، لكن افعلي أي شيء بشرط أن تهدأي".
والتقطت الصينية ونزلت بها لتحكي همومها لليبي التي قالت لها:
"رأيته مريضاً مرة واحدة فقط طوال الأعوام التي عملت فيها عنده، كانت عملية جراحية في أربطة ركبته. لا تقلقي ربما كان مجرد اضطراب في المعدة ناجم عن كل هذه الأطعمة الغنية خلال حفلات العشاء التي تقام لرجال الاعمال".
وفي صباح اليوم التالي استيقظ وأخذ حماماً وحلق كالمعتاد لكنه رفض تناول الطعام طوال اليوم واعترف بأنه يعاني صداعاً رهيباً. وظل كذلك حتى يوم الاحد حيث بدا أحسن

لم يعودا صديقين، ولن يهدأ بال ميراندا، او يستقر زواجها، قبل أن يتقرر مصير هذه العلاقة. وعاشت هذه الايام في كرب وزاد من قلقها أن جاسون لم يتصل بها تليفونيا. وحاولت أن تشغل نفسها بشؤون البيت الريفي. وفي يوم الجمعة فوجئت بجاسون يصل بدون اخطار في الساعة العاشرة مساء. وكانت تحيته لها جافة ولم يحاول أن يقبلها عندما هرعت الى الباب لكنها تبينت أنه مرهق الى أقصى حد، ويكاد يسقط اعياء فهتفت به:
"ماذا بك ياجاسون؟"
"لا شيء اني على ما يرام، مجرد ارهاق".
"لا تبدو على ما يرام".
"لا تحدثي جلبة، سأكون على ما يرام".
وعندما سألته ليبي عما يود أن يأكله، قال لها انه شبعان ولا يريد شيئا. وتدخلت ميراندا تسأله:
"هل أكلت شيئا قبل هبوط الطائرة؟"
"نادرا ما أكلت خلال اليومين الماضيين، لاحساسي بألام في معدتي، ربما أكلت شيئا سبب هذا الألم.." وقام واتجه الى السلم دون أن ينظر تجاه المرأتين المشفقتين عليه. ونظرت ميراندا الى ليبي التي قالت:
"ليس من المفيد أن تفرضي طعاما عليه اذا كان يشكو الاما في معدته لكنك عليك ياسيدة ستيل أن تقنعيه بتناول اكبر كمية من السوائل، هل أخلط له عصير الفواكه مع ماء الصودا؟"
"نعم... كلا. سأقوم بهذا أنا بنفسي".
وبالفعل ملأت ابريقا من عصير البرتقال وماء الصودا ووضعته على صينية مع كوب. وأسرعت الى أعلى حيث وجدت غرفة النوم الرئيسية خالية، كانت هناك أربع غرف نوم في البيت، احداها واسعة يدخلها الهواء واثنتان أصغر والرابعة تكاد تكون صندوقاً. وهناك وجدته، واشياؤه ملقاة

تؤكد رجوعه لحالته الطبيعية وأجرى مكالمة مطولة مع سير شارل ثم رجع الى غرفة الجلوس حيث غاص في مقعد وهو يقول:

"السير شارل يرسل لك تحياته ويذكرنا بالحفل الذي سيقيمه يوم السبت المقبل."

وعادا الى بايرن سكوير في صباح اليوم التالي، وذهب جاسون فورا الى مكتبه. وبدا أنه شفي تماما. وفي مساء ذلك اليوم ذكرها بارتباطهما في عطلة نهاية الاسبوع وسألها هل قررت ماستلبس. كان قلقها على مرضه قد أنساها هذا الموضوع لكنها الآن تذكرت كل شيء بتعقيداته، لأنها أرادت من قبل لمائة مرة او يزيد ان تتحدث معه عن تلك الفتاة التي كان لها دور هام في حياته وعندئذ لابد أنه يضطر الى التعليق على هذا او على الأقل يطرح الموضوع، لكن الشجاعة خانتها.

كان كل يوم يمر يزيدها توترا، لتوقعها أن تتصل ليسا تليفونيا لأنها لا شك عرفت أن جاسون مرض في روما. ولم تجيء أي مكالمات تليفونية وانقضى يوم السبت بأكمله في هدوء. وفي المساء ارتدت ثوبا أبيض جديدا من الجرسيه الحرير الأبيض رائع التفصيل أضاف اليها مع تسريحة شعرها جمالا أخاذا. ولمحت جاسون في المرآة وهي تضيف اللمسات الأخيرة، وقال جاسون:

"شكرا للسماء. لقد كنت أخشى أن تغيري رأيك."

وقدم اليها علبة مجوهرات وهو يقول:

"اشتريت هذه مساء أمس وهي تناسب ثوبك هذا، لكن لمعرفتي بالنساء كنت أتوقع أن أجدك غيرت رأيك في آخر لحظة."

وفتح العلبة وأخذ منها سلسلة فضية تتدلى منها قلادة جميلة من العقيق والفيروز وضعها حول عنقها، وأدركت حتى قبل أن تنظر اليها في المرآة ان جاسون دل مرة أخرى أنه يتمتع بذوق رفيع ومعرفة بما يصلح لزينة النساء.

وجعلها تستدير لتواجهه، مبدياً اعجابه بزينتها. وحينئذ أحست بالخجل من كل شكوكها فيه وقالت له:

"انها جميلة. شكرا لك. انك تدللني ياجاسون."

وتطلعت اليه فقال:

"من الأفضل ألا أستمر في هذه المداعبات حتى لا أفسد زينتك. وستضيعين وقتا طويلا لاعادة زينتك الى ما كانت عليه."

وودت لو تصرخ فيه: فلتذهب زينتي الى الجحيم، لكنها لم تجرؤ. لا شك أن منظرها سيحوز قبولا عاما. كانت تعرف أنه سيكون هناك نحو مائتي ضيف في الحفل، البعض منهم من أكثر الناس ثراء من علية القوم الذين لم تكن لتقابلهم لو ظلت في الأقاليم ولم تأت الى العاصمة وتلتقي بجاسون. وقال لها وكأنه قرأ أفكارها:

"أنت لست عصبية، أليس كذلك؟"

"هل يتعين علي أن أكون عصبية؟"

"ليس هناك سبب على الاطلاق يدعوك لهذا. سيكون هناك عدد من أرامل النبلاء العجائز، وقادمون جدد الى المجتمع الارستقراطي، وهؤلاء، ليسوا تشكيلة لطيفة."

"سأظل بمنأى عنهم، وثق أني لن أسبب لك حرجا."

"أيتها الحمقاء الصغيرة. أنا أحاول تحذيرك وحمايتك. وعلى اية حال فان تربيتك تزودك بالحماية من فساد المجتمع الارستقراطي."

"الفساد موجود في المجتمع كله مهما كان مستواه. انك تجعلني عصبية. ممن يجب أن أخاف الليلة؟"

"لا أستطيع أن أجيب لأني لا أعرف. هيا بنا لا أريد أن نتأخر."

وظل صامتا طوال الطريق الى ميد نهيد حيث يملك السير شارل وليدي هيوبارد منزلهما وهو قصر كبير قديم يطل على النهر. وأخذت تتساءل عما يحاول أن يحذرها منه. ان

وجود ليسا ربما يكون هو السبب الوحيد الممكن، ماذا يمكن أن يكون غير ذلك. وعندما وصلا كانت ترتجف بعصبية وتود انتهاء الحفل على خير. وأوقف العربة وقال لها: من الأفضل أن تنزلي وأن تنتظريني في الداخل حتى أجد مكانا للسيارة. وأرادت أن تعترض وأن تقول أنها تفضل أن تلازمه لكن وجود منادي السيارات بالقرب منهما ووقوف صف من السيارات خلفهما منعها من ذلك. فنزلت ودخلت الى المنزل حيث واجهتها الأنوار المتلألئة والموسيقى والأصوات المرحة. كانت رائحة الثروة نفاذة في كل مكان، فراء فاخرة وثياب غالية وجواهر رائعة.

وتلفتت ميراندا حولها وبدا أنها لا تعرف أحداً. لكن ليدي هيوبار رأتها وأسرعت اليها وحيتها بحرارة وقالت لها:

"هل تتركين شالك ياحبيبتي وأنت تنتظرين جاسون. شكراً لكما على هديتكما القيمة، سنعتز بها دوماً. انني وشارل مجنونان بهذه الكأس الفينيسية الرائعة".

أي ذاكرة قوية. ان ليدي هيوبارد لا شك تلقت ما يزيد عن مائة هدية في هذه المناسبة ومع ذلك تتذكر من أهدى وماذا؟

وبعد أن وضعت ميراندا دثارها في غرفة وضع المعاطف واطمأنت الى زينتها عادت الى الردهة حيث رأت جاسون يقف وسط مجموعة تفيض حيوية ومد يده وسحبها الى الحلقة بطريقة جعلت قلبها يقفز حباً وطلب لها شراباً. كان الضيوف ما يزالون يتوافدون حيث يستقبلهم سير شارل مرحبا.

وعندما تحرك الضيوف الى غرفة الطعام رأت ميراندا عددا كبيرا من الناس كانت قد التقت بهم بعد الزواج لكن لم يكن هناك أثر لليسا وزوجها. وكانت المائدة التي على شكل حدوة حصان مليئة بأرقى أنواع الأطعمة. وشرب الضيوف نخب المحتفى بهما ومال والي امبروز الذي كان يجلس الى يسار ميراندا عليها وهو يقول:

"انتظري حتى يتجاوز زواجكما أنت وجاسون أربعين عاماً".

وجود ليسا ربما يكون هو السبب الوحيد الممكن. ماذا يمكن أن يكون غير ذلك. وعندما وصلا كانت ترتجف بعصبية وتود انتهاء الحفل على خير. وأوقف العربة وقال لها: من الأفضل أن تنزلي وأن تنتظريني في الداخل حتى أجد مكانا للسيارة. وأرادت أن تعترض وأن تقول أنها تفضل أن تلازمه لكن وجود منادي السيارات بالقرب منهما ووقوف صف من السيارات خلفهما منعها من ذلك. فنزلت ودخلت الى المنزل حيث واجهتها الأنوار المتلألئة والموسيقى والأصوات المرحة. كانت رائحة الثروة نفاذة في كل مكان، فراء فاخرة وثياب غالية وجواهر رائعة.

وتلفتت ميراندا حولها وبدا أنها لا تعرف أحداً. لكن ليدي هيوبار رأتها وأسرعت اليها وحيتها بحرارة وقالت لها:

"هل تتركين شالك ياحبيبتي وأنت تنتظرين جاسون. شكراً لكما على هديتكما القيمة، سنعتز بها دوماً. انني وشارل مجنونان بهذه الكأس الفينيسية الرائعة."

أي ذاكرة قوية. ان ليدي هيوبارد لا شك تلقت ما يزيد عن مائة هدية في هذه المناسبة ومع ذلك تتذكر من أهدى وماذا؟

وبعد أن وضعت ميراندا دثارها في غرفة وضع المعاطف واطمأنت الى زينتها عادت الى الردهة حيث رأت جاسون يقف وسط مجموعة تفيض حيوية ومد يده وسحبها الى الحلقة بطريقة جعلت قلبها يقفز حبا وطلب لها شراباً. كان الضيوف ما يزالون يتوافدون حيث يستقبلهم سير شارل مرحبا.

وعندما تحرك الضيوف الى غرفة الطعام رأت ميراندا عددا كبيرا من الناس كانت قد التقت بهم بعد الزواج لكن لم يكن هناك أثر لليسا وزوجها. وكانت المائدة التي على شكل حدوة حصان مليئة بأرقى أنواع الأطعمة. وشرب الضيوف نخب المحتفى بهما ومال والي امبروز الذي كان يجلس الى يسار ميراندا عليها وهو يقول:

"انتظري حتى يتجاوز زواجكما أنت وجاسون أربعين عاماً."

هزت ميراندا رأسها. فهي لا يمكن أن تتخيل ذلك، والتفت جاسون اليها مستفسراً فكرر والي ملاحظته، فعلق جاسون قائلا:

"لست متأكدا من أن صبر زوجتي سيستمر أربعين عاماً."

فاستطرد والي:

"الصبر فضيلة لم ألحظها فيك يابني. وربما يتعين عليك أن...."

ولم تسمع ميراندا باقي الملاحظة المازحة، لأن باب غرفة الطعام فتح ودخل شخصان ونهضت ليدي هيوبارد لاستقبالهما. كانا ليسا وجيمس زوجها.

بدت ليسا أجمل ما تتذكر ميراندا رغم مظاهر الضجر البادية على وجهها. وجلسا في مكان خارج عن مجال رؤية ميراندا، لكن ما أن انتهى الطعام ونهض الضيوف حتى شقت ليسا طريقها متعمدة الى جاسون. وابتسمت لميراندا وهي تحييها ثم استدارت لجاسون تسأله:

"هل شفيت تماماً يا جاسون؟"

أنا على مايرام شكراً لك."

واستدار جاسون ليقدم جيمس الى ميراندا لكن ليسا سبقته بتقديم قصير ثم استطردت:

"أقلقتني ذلك المساء عندما تعشيت مع مايك عندنا وأعتقد أنه لو لم أصر على استدعاء طبيب كلير، لكنت قد ذهبت الى بون في اليوم التالي وأصابك انهيار."

ظلت ميراندا صامتة لا تستطيع أن تنظر الى جاسون وكل ما استطاعت أن تفكر فيه هو أن جاسون لم يخبرها.

وجاءت اليهم المضيفة تقول لهم ان ديان ابنة اخ السير شارل الصغيرة سترقص وأن عليهم أن يحضروا لمشاهدتها وأضافت:

"سيكون هناك رقص وبرنامج غنائي ثم خراف مشوية في منتصف الليل للشبان. وتستطيعون بعد ذلك النزول الى

الجزء المطل على النهر اذا كنتم تريدون هواء نقياً."

وذهبوا جميعا الى قاعة الاستقبال حيث صفت الكراسي في جانب منها وتركزت الأنوار في الجانب الاخر، وبعد قليل ظهرت ديان حيث قدمت عدة عروض راقصة، واظهرت موهبة رائعة، استحقت عنها تصفيقا حماسيا. وعندما أبدى والي أمبروز تعليقا حول عدم نضج فن هذه الفتاة الصغيرة وبخه جاسون وقال أنه سيطلب مراقصتها بعد اذن ميراندا. فقالت له ميراندا أنه يستطيع مراقصتها طوال السهرة، لادراكها أنه ليس هناك خطر في مراقصة هذه الصبية الفاتنة التي تقترب من مرحلة النضج. ولم تحرم ديان أبدا شخصاً يطلب مراقصتها. وفي حين أبدت النساء العجائز اعجابهن بها، قالت سيدة شابة انه من العار ترك الاطفال يسهرون الى هذه الساعة المتأخرة من الليل، فردت عليها احدى العجائز:

"هل هي تسبب لك قلقاً يا عزيزتي."

وجاء سير شارل يطلب مراقصة ميراندا وسمع هذه التعليقات فقال لميراندا:

"ان ابنة أخي هذه ستحدث كثيرا من الفوضى في السنوات القليلة المقبلة. هل تعرفين انها استولت على زوجك وطلبت منه أن يأتي لها بشراب:

"اعتقد أن الاستيلاء عليه يسعده."

"لكن اود أن أسالك هل أنت وجاسون متفاهمان؟ ان لم يكن سؤالي هذا تطفلا."

هزت رأسها وهي تقول:

"متفاهمان تماما، شكراً لك."

"حسنا، اني مسرور لأنه قرر أخيرا أن يخوض التجربة. فأنا من أشد المتحمسين للزواج، انه يوفر الاستقرار للرجل، خاصة اذا كان في وضع جاسون. انه يحتاج الى انسانة مثلك فقد كنا أنا وزوجتي قد يئسنا من استقراره، ناهيك عن اختياره للفتاة المناسبة."

...ظلت صامتة وان اعربت عن امتنانها لهذا المديح ...سامة. كانت تعرف أن شركات كثيرة تفحص أحوال ...حات موظفيها قبل ترقيتهم وهي تعتقد أن شركة كارونا ...سل تفعل ذلك.

وعندما انتهت الموسيقى لم يكن هناك أثر لجاسون فقال لها سير شارل:

"يبدو أني لا أستطيع أن أعيدك الى زوجك. هيا نفتش عنه."

"كلا شكرا، اعتقد أني سأذهب لأستنشق بعض الهواء لبضع دقائق."

وشقت طريقها بين المدعوين حتى وصلت الى النوافذ الواسعة في نهاية الغرفة، حيث وقفت لحظات ثم خرجت الى الحديقة وهي تأخذ أنفاسا عميقة من هواء الليل المنعش.

كانت كلمات سير شارل لها أطيب الأثر عليها وتمنت أن يكون كلامه عن الفتاة المناسبة منطبقاً عليها، وأن جاسون يحتاجها حقا. كانت الموسيقى تصل اليها عبر النوافذ المفتوحة. واستدارت لترجع ثم غيرت رأيها لتسير في الحديقة كما يفعل بعض الضيوف الآخرين. لو أن جاسون ذكر ليسا! لماذا تجنب أي ذكر للفتاة التي أراد الزواج بها؟ لماذا غضب عندما أخبرته منذ أسابيع مضت أن ليسا زارتها. ولماذا لم تتصل بها ليسا... هل لأن جاسون حذرها من الاتصال بزوجته؟

وبدأت تلوم نفسها على قلقها. وخطر لها أنه من الأفضل أن تعود فربما يحتاج جاسون الى من ينقذه من ديان. وبدأت فعلا تسرع الخطى حتى وصلت الى حافة سياج مرتفع. وسمعت صوت ليسا، وتوقفت. كانت ستصطدم بها لو تقدمت خطوة أخرى. وتبينت أنها لم تكن وحدها فقد لمحت جاسون معها، وسمعتها تقول له:

"لكن لماذا لن تخبرني يا جاسون؟"

"لاني لا أريد هذا، يا حلوة."

"لكن لابد لي أن أعرف. أنا أعرف أنها تحبك، يكفي أن

ينظر اليها الانسان ليعرف هذا · لكن هل تحب زوجتك الصغيرة بجنون ياعزيزي·"

"أعتقد أن هذا ليس موضوعنا ···"

كانت كلمة موضوعنا تجمع بين جاسون وليسا وتؤكد العلاقة بينهما مما سبب ألما بالغاً وأحست باختناق· أرادت أن تبتعد سريعاً قبل أن ترى ما يحطم سعادتها، وفي الوقت نفسه تود أن تهاجم هذا العدو المراوغ· لكن الخوف والتلهف على الحقيقة جعلاها تبقى سجينة صامتة تحت الأشجار المظلمة الهامسة وسمعت ليسا تقول:

"كلا ياجاسون أنا حقا لا أريد أن أعرف· لأنها زوجتك مهما حدث لكن هذا يضع حدا لشكوك جيمس·"

"هل كان يشك؟"

"أعتقد هذا · لكنه استراح عندما سمع الخبر · أعتقد أنها كانت ضربة معلم· أقصد، أننا لا يمكن أن نفكر في ستار من الدخان خير من هذا، هل قلت لك أن دعوتكما معاً في عطلة نهاية الأسبوع كانت فكرته؟ فأنا لم أكن أجرؤ على المضي لهذا الحد··· اوه ياجاسون أسرع فأنا أعتقد أن شخصا ما قادم·"

واهتزت ساقا ميراندا وشحب وجهها وأحست بالغثيان فاستدارت مذعورة فوجدت أمامها ديان التي قالت لها ضاحكة:

"أوه، ها أنت، كنت ابحث عنك· العمة اليانور أرسلتني لأقول للضيوف في الحديقة ان الغناء الراقص سيبدأ، هذا اذا كنت تريدين مشاهدته· لكن لا يجب أن يفوتك رودي ريكاردو، انه رائع·"

وجذبت ميراندا ديان من ذراعها وأدخلتها معها وهي ترتعش حتى لا ترى ما رأته· فسألتها هذه:

"ما بالك، هل أنت مريضة؟"

"كلا، أنا على ما يرام·"

ولمحت ليسا تقترب فأغلقت عينيها لحظة· ثم استدارت الى ديان وهي تبتسم قائلة:

"كلا يا ديان أنا بخير تماماً·"

ورفعت رأسها عالياً ودخلت وحدها بين الضيوف، رغم أنها كانت تحس أن قلبها تحطم·

١٢ - طعم الانتظار

لم تكن تعرف كيف ستستمر خلال ما بقي من وقت السهرة.
هزتها صدمة الخيانة واجتاحتها كالعاصفة، مهددة بأن تنسف سيطرتها على نفسها في أي لحظة. لكن قوة شخصيتها والطابع الخاص للمناسبة، جعلاها تشعر بأنها ملزمة بأن تحاول التظاهر كأن شيئا لم يحدث. وعندما جاء جاسون اليها كانت متيبسة، فقال لها:
"هل تودين شرابا؟"
كان صوته لا أثر فيه لاحساس بالذنب.
هل كان ذلك خيالا، أم أن انه يحاول أن يكون طبيعيا وان يكون سلوكه حذرا؟ لكن صوتها هي احتبس في حلقها ولم تجرؤ على النظر اليه فهزت رأسها نفيا. ولحسن الحظ بدأ المطرب أداءه.
ولفترة لم تنظر الى جاسون أو تكلمه. ورأت ديان في طرف الغرفة الآخر تحدق في المغني وانسابت الدموع حارة من عينيها. فاستدارت وانسلت من الغرفة. مضت عبر الردهة الخالية الى غرفة ايداع المعاطف وأغلقت الباب خلفها بعيدا عن العيون الفضولية، وأخذت نفسا عميقا منتحبا وهي تجاهد لاستعادة سيطرتها على نفسها. ونجحت في ذلك. وحل اليأس الهادىء محل أفكارها العنيفة: هل تهرب، أو تبقى وتواجه ليسا؟ أو تصب اتهاماتها على جاسون؟ ودهشت أنها

أحست بالتخفف من عبء كانت تنوء به والتخفف من الشكوك والظنون التي عذبتها طويلا. أرادت، دائما أن تثق فيه وحاربت هذه الشكوك لكن الفريزة كانت صادقة. ان العلاقة القديمة بين جاسون وليسا لم تنته أبداء رغم أن كلا منهما اختار أن يتزوج شخصا آخر. وذلك مجرد ستار من دخان كما قالت ليسا.
ونظرت ميراندا الى وجهها الأبيض المذعور في المرآة. ربما كان هذا في ذهن جاسون منذ البداية. وهذا السبب في أن رينا حاولت تحذيرها لكنها كانت عمياء وساذجة. لكن ما الذي ستفعله؟ وبيد مرتعشة أصلحت زينتها، ومع ذلك فلم يعد منظرها يعنيها. ان ما يعنيها الآن هو شيء واحد.
وعندما عادت الى الردهة كان جاسون واقفا أسفل السلم وعندما رآها اطفأ سيكارته بعصبية وتقدم اليها وتعبير وجهه يعكس القلق والاحساس بالذنب مما أكد مخاوفها وسألها:
"أين اختفيت؟"
"ياله من سؤال؟"
"اعتقد أنك كنت تصلحين زينتك."
"اعتقادك في مكانه."
"لكن لماذا استغرق هذا كل ذلك الوقت؟ هيا، لقد قاربنا الانتهاء تلك هي الفرصة الوحيدة."
وتقدمته الى الغرفة الكبيرة حيث سمحت له أن يأخذها بين ذراعيه ليرقصا الرقصة الأخيرة. ونزل عليها احساس باللاواقعية، وأعربت عن دهشتها عندما عزف الموسيقيون فالس الزفاف وسألها جاسون:
"ماذا بك؟"
"لا شيء، انني على ما يرام تماما."
"انك لا تبدين كذلك."
"شكرا لك."
"أنت تعرفين أني لا أقصد..."
"اذن ما الذي تعنيه؟"

"أوه يا الهي ألا ينتهي هذا ؟"

وعندما انتهت الموسيقى غمغم قائلا :

"هيا بنا ، لنودعهم ونخرج من هنا ."

وفعلا ذلك . وعندما وصلا الى السيارة كانت ميراندا ترتعش ، وسارعت الى مقعدها ، بينما حاول جاسون أن يخلص سيارته من بين كل السيارات التي تحاول أن تخرج في الوقت نفسه . وفي مكان ما اصطدمت سيارتان وصاح جاسون :

"انه والي لم يكن له أن يقود سيارة وهو بهذه الحالة ، هذا الاحمق ."

ولم تجب ميراندا بل ارتعشت وودت لو أنها أفرطت في الشراب كما فعل والي امبروز . ولاحظ جاسون رعشتها ، فأخذ دثارا من الخلف وألقاه على ركبتيها ، وهو يناضل للخروج بالسيارة ، وخرجا الى شارع واسع فزاد جاسون من سرعة سيارته . وبدأ الصمت يتكاثف حتى أصبح كشيء ملموس . ويبدو أنه أحس أنها تود أن تثير نقاشا فقال لها :

"ليس الآن ، لنؤجل ذلك ."

"هل هناك شيء يتعين تأجيله ؟"

"أنت التي تسألين عن ذلك ؟"

"رأيتك مع ليسا ."

"تصورت ذلك . كان ذلك هو الشيء الوحيدالذي فكرت أنه ربما عكر مزاجك على هذا النحو ."

"عكر مزاجي ، هل هو كل ما تستطيع أن تقوله ؟"

"كلا ، أستطيع أن أقول الكثير . لكني افضل ألا أقود سيارة وأنت تفقدين السيطرة على انفعالاتك ."

"هل تقصد أنه ليست لديك النية للتفسير ."

لم يكن هناك رد .. واندفعت السيارة بعنف لم تعهده في قيادته للسيارات . وعندما وصلت الى بايرن سكوير ، كانت ما تزال ترتعش . وفي صمت أدخل السيارة الى الكاراج ودخلا المنزل . وسبقها حيث أحضر قدحين من الشراب قدم لها

واحدا منهما فقالت له :

"كلا شكرا ."

"هل تجسست علي الليلة ؟"

"كيف تجرؤ على أن تقول هذا ؟ لم أكن أتجسس ."

"لو انك بقيت وتجسست لبرهة أخرى لادركت أن ليسا هي التي كانت تحاول ارجاع ما مضى ، ولست أنا ."

"هل يهم من الذي كان يحاول ؟"

"نعم انه مهم . لقد استمعت ، أليس كذلك ؟ جاءت ديان وهربت أنت ؟ من المؤسف أنك لم تستمعي فترة أخرى . كنت ستسمعين وأنا أقول لليسا ان المسألة انتهت للأبد ."

"اذن كانت ليسا منذ البدء ."

"نعم ، كانت . وأعتقد أن كل انسان في المدينة كان يعرف هذا ."

"فيما عداي ."

"اسمعي ياميراندا ، عندما تزوجتك لم أطلب منك تقريرا عن علاقاتك في الماضي ، فلم كان علي أن أقدم تقريرا ؟"

"لم يكن لي أي علاقات ، عدا ..."

وتقلص فمها ولم تستطع أن تواصل .

"أنا مدرك لهذا . وربما اختلف الأمر لو لم أدرك هذا . ان التجربة والبراءة لا يلتقيان ... ومع ذلك فأنا أعرف أنك لن تقتنعي ما لم تعرفي القصة كلها . سأقول لك ، نعم كانت لي علاقة مع ليسا استمرت نحو سنة وانتهت عندما اختارت أن تتزوج جيمس لندستون لأسباب ليس هذا مجالها . اعتقدت أن العلاقة انتهت ، ورأيتها في نحو ثلاث مناسبات اجتماعية في الأشهر التالية . وكان ذلك فيما يتعلق بي ، هو نهاية العلاقة . اعترف أني كنت أشعر بالمرارة . كانت المرأة الوحيدة التي تعلقت بها . وكان رد فعلي البحث عن تعزية نسائية في مكان آخر . لم يكن ذلك رشدا مني . ان ليسا مسؤولة عن أشياء كثيرة في حياتي الشخصية ، لكنها فجأة اختارت

أكثر اللحظات خطورة من الناحية السيكولوجية لتعود الى حياتي٠ هل تذكرين تلك الليلة التي أويت فيها الى مكتبي؟"

وأومأت برأسها وهي تأمل ألا تمضي في تدمير أوهامها لكنها كانت تدرك عدم جدوى هذا٠ واستطرد يقول:

"عندما تركتك تلك الليلة وعدت الى هنا رن جرس التليفون٠ كانت ليسا، كانت في روما لزيارة أختها ونظرا لالغاء رحلتها المحددة سلفاً رجعت في رحلة أخرى قبل موعدها المتفق عليه مع زوجها بليلة ولم يعرف جيمس ذلك، ولذا جاءت مباشرة من المطار الى هنا حيث أمضت الليلة٠ لا تنظري الي كذلك٠ اللعنة على كل شيء٠ كنت أحبها، ولم أكف وقد رأيتها من شهور وجاءت الى هنا وارتمت بين ذراعي٠ كنت أشعر بالتعاسة في تلك الليلة، ولم تكن هناك لحظة أفضل من هذه تغتنمها٠ كنت قد خرجت من تجربة قاسية مع كارنينا التي قد قلبها من حجر، في حين يعمل عقلها مثل كومبيوتر البنك، وبدت لي ليسا أكثر شيء أريده، وفجأة عادت الي٠ وبعد ذلك أخذت أتساءل هل كانت هذه الليلة حقيقية٠ ثم تساءلت كيف سأنساها ثانية٠ لكنني أدركت أن ذلك تفكير مجنون وأن استئناف علاقتنا لن يؤدي الا الى المتاعب ثم تحدثت الي بعد ذلك ببضعة أيام ، لاغرائي بقضاء عطلة نهاية الاسبوع معا وبصورة سرية٠ فقد كان جيمس ذاهبا الى اسكتلندا٠ وفي البدء أغراني هذا العرض لكنني فكرت في جيمس انه انسان غافل لكنه أمين تماما٠ وبدأت أتساءل هل كانت ستتخذ لها عشيقاً لو تزوجتني وشعرت بالأسف له، وبالاشمئزاز من نفسي ومن ليسا فآخر ما أريده هو أن استغفل صديقاً قديماً٠ وكانت تلك هي اللحظة التي بدأت فيها أسيطر على رغبتي٠"

وقفت ميراندا وهي تحس بالغثيان وبالرجفة تخلخل قلبها ورغما عنها كان عليها أن تعترف بالحقيقة الواضحة من كلامه٠ كادت تصدق أنه اراد فعلا انهاء علاقته بليسا٠

وأحست بأن عينيه تتابعانها وهي تتجه صوب الباب، ثم

ما لبث أن قال:

"ميراندا، لم أنته بعد٠"

"لا أريد أن أسمع المزيد٠"

"ربما لا تريدين، لكن فات أوان تغيير الرأي٠ لقد تساءلت بيني وبين نفسي منذ فترة كم من الحكايات سمعت٠ كان لابد أن يحدث هذا وهو يفسر مواقفك منذ زواجنا، انتهى كل هذا ياميراندا٠"

"هل انتهى؟"

وضع يديه على كتفيها وأجبرها على أن تستدير اليه:

"هل يمكن أن تقدمي أي دليل مهما صغر على انني لم أكن مخلصاً لك منذ زواجنا؟ أم تفضلين شكوكك التي لا أساس لها؟ ان ليسا ماض انتهى من حياتي٠"

كانت تود أن تقتنع بأن شبح ليسا ينتمي الى الماضي وأن ذكراها لم تعد ماثلة في ذهنه٠ لكن ذلك يحتاج وقتا وحنانا لتشفى مما ألم بها وعندما وضع ذراعيه حولها وقفت بدون رغبة او استعداد للاستجابة، فوجه ليسا ماثل أمامها هنا في الغرفة، وابتعدت عنه وهي تقول:

"لا تلمسني٠"

"لماذا؟ أنت زوجتي٠"

"هل هذا هو كل ما تزوجتني من أجله؟"

"هل هذا ما تعتقدينه؟"

والتفتت اليه تواجهه وعيناها مغرورقتان بالدموع وهي تقول:

"ماذا أعتقد غير ذلك؟ قلت ذلك بوضوح عندما طلبت مني الزواج، ولو كنت رضيت بالعلاقة التي كنت تريدها، هل كنت ستتزوجني؟"

"الرجل لا يتزوج من أجل الجنس وحده كنت أستطيع الحصول على دزينة فتيات٠ قولي لي ما الذي تنتظرينه مني؟ حاولت ارضاء مطالبك المادية والاجتماعية ماذا تريدين أكثر؟

ان تتملكيني، جسماً وروحاً.»

«لا أريد أن اتملكك على الاطلاق، ولكني لن أشارك الآخرين فيك، لماذا تزوجتني؟»

«كنت اتساءل دوماً. لاني كنت أعرف أنك لم تتزوجني لانك وقعت في هواي.»

وتردد وعندما بدأ يتكلم لم ينظر اليها وقال:

«لم أعتد أبدا ان أحلل دوافعي. لكني أعرف أني لم أكن ابلغ شيئاً معك بدون زواج. ومن ثم تزوجتك، تحت ضغط النزوة. ولكي أكون أمينا معك، أعتقد أن ذلك كان رد فعل الاخفاق. أليست تلك هي الطريقة التقليدية لوصف ما حدث؟»

وامتد الصمت بعد أن فرغ من حديثه واقترب منها بعدما شرب ما في قدحه دفعة واحدة فنظرت اليه بحذر. ووقف قبالتها وهو يقول:

«في أية حال أوضحت رأيك في بوضوح الليلة، فماذا هناك غير ذلك يمكن قوله؟»

وبدا الصدع واسعا وعميقا وبارداً. ولما لم ترد على سؤاله انسل بهدوء وخرج من الباب وصفقه خلفه بعنف. وعندما رفعت رأسها وجدت الغرفة خالية.

وكانت الأيام الثلاثة التالية أتعس وأطول أيام حياتها. اذ بقي جاسون بارداً ومتنائياً. كانت تراه فقط عند الافطار ومتأخرا في المساء عند رجوعه بوجه مكفهر ومتحفظ.

وفي صباح اليوم الثالث استجمعت شجاعتها. فلا يمكن أن يستمرا على هذا المنوال. واستعادت ما ستقوله. وحرصت أن تنزل الى الافطار قبله صباح الأربعاء. لكن كل ما نوته تبخر، اذ رأته نازلا يحمل حقيبة، وابيض وجهها وهي تراه يضعها قرب حقيبة يده. وجلس في صمت يتناول افطاره بلا تعجل ثم أخذ يتصفح الصحيفة. انه سيتركها. ليس هناك تفسير آخر فلم يذكر خلال الأسبوع الماضي أن لديه رحلات عمل، ومواعيد جاسون ورحلاته مرتبة ومنظمة جيدا من قبل. ونسيت

موقف عدم الحديث الذي التزمه وسألته:

«الى اين أنت ذاهب؟»

وخفض الصحيفة قليلا وهو ينظر اليها ويقول ببرود:

«عفوا!»

«سألتك: الى أين أنت ذاهب؟»

«الى بون.»

ورفع الصحيفة مرة أخرى، لكنها أضافت:

«أوه، طبعا! انت... لم تذهب الى هناك بعد روما. لقد كنت...»

كانت تود أن تسأله كم يمضي هناك، لكنها تراجعت، وكمن فطن لذلك أضاف هو:

«سأعود يوم السبت. وسنتحدث عندئذ اذا عدت الى رشدك.»

وماتت على شفتيها الكلمات التي أوشكت أن تتمنى بها رحلة سعيدة له وذهب هو قبل أن تستطيع الاعتراض والانكار.

وفي أحد الايام تفقدت علبة زينتها التي أهداها لها جاسون وتذكرت أنها نسيتها في بيت السير شارل فاتصلت بالبيت وكانت ليدي هيوبارد هي التي ردت عليها وقالت لها:

«سأبحث عنها فورا ياعزيزتي. انتظري لحظة سأسأل ماري.»

وبعد لحظات عادت ليدي هيوبارد لتقول لها:

«نعم ياعزيزتي هنا علبة صغيرة. علبة فضية عليها صور فراشات.»

«انها هي.»

«انها سليمة تماماً. هل أرسلها لك؟ أو أطلب من شارل أن يعطيها لجاسون، لكني أخشى أن يكون ذلك منافيا للحكم، فلا يجب أن ندع رجالنا يدركون أننا ننسى هداياهم. لدي فكرة، اذا لم تكوني مشغولة لماذا لا تأتين؟ اننا نحب أن نراك. لماذا لا تأتين غدا ياعزيزتي؟ تعالي صباحاً ونامي عندنا الليل. وعندئذ تستطيعين أن تذهبي مع شارل يوم

البيت لاستقبال جاسون.

ولم تستطع ميراندا أن ترفض هذه الدعوة غير المتوقعة. لكنها خافت أنه سيكون عليها اذا ذهبت الى المطار أن تتحدث الى جاسون وكأن شيئا لم يحدث.. وعندما سار بها التاكسي في الطريق نفسه الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي الى بيت سير شارل لم تصدق أن ما يقل عن أسبوع انقضى منذ قطعت هذا الطريق مع جاسون، وعندما وصلت السيارة أسرعت ليدي هيوبارد لملاقاتها والترحيب بها.

كان الحوار دائما هنيئاً لطيفاً مع ليدي هيوبارد، وكانت ميراندا تدرك جيدا أن الزوجين هيوبارد يستلطفانها. ومع ذلك قررت ألا تقول شيئاً عما يحدث في علاقتها مع جاسون.

وامضت معهما وقتاً ممتعاً، وأحست بالسرور لانها لم تضطر لقضاء يومها وحيدة في بايرن سكوير، فقد اشتركت في ازالة الحشائش من الحديقة. وفي وقت الغداء وصل السير شارل الذي داعبها بأن قال لها أنه من الواضح عليها أنها تفتقد زوجها.

وأثناء الافطار في اليوم التالي سألها السير شارل:

"هل حدد ميعاد وصول الطائرة؟"

وأجابت ميراندا:

"كلا، قال فقط أنه سيعود يوم السبت."

ورد مضيفها:

"ذلك طبع جاسون، اذا لم يقل لزوجته فلمن سيقول."

فتدخلت ليدي هيوبارد على نحو أنقذ ميراندا بأن قالت:

"ربما لم يعرف الا في اللحظة الاخيرة. وربما طلب ميراندا تليفونيا الليلة الماضية وهو لا يعرف أنها هنا."

وأومأ السير شارل موافقا وهو يقول:

"لم أفكر في ذلك."

فقالت زوجته:

"تلك عادتك. واني لأتساءل أحيانا كيف يدير الرجال

الأعمال والبلدان. لكن هذا ليس غريباً في ضوء حالة الانهيار التي يعيشها العالم حالياً."

فسألها:

"هل هذا يعني أن السيدات سيدرن الأمور على نحو أفضل؟"

وردت زوجته:

"لا شك في هذا..."

ثم التفتت الى ميراندا وهي تقول:

"هل تودين الاتصال بالبيت تليفونيا لتسألي اذا طلبك أمس؟"

وتدخل سير شارل:

"نعم، فنحن لا نريد أن نتخلف عن الطائرة."

وبلعت ميراندا ريقها وهي تقول:

"انه كرم منك أن تعرض اصطحابي لمقابلته. لكني لا أعتقد أن جاسون يتحدث تليفونياً، فهو لا يحب استقباله او رؤيته في المطار، ولذا..."

ورد سير شارل:

"ومن ثم فأنت تحترمين رغبته ولا تريدين أن تخلقي مشكلة من موضوع تافه، تلك حكمة من جانبك." لكن زوجته تدخلت قائلة:

"ألا يحق لنا أن نخالف سادتنا؟"

ووافق السير شارل قائلا:

"هذا الفتى يزداد غروراً. لم أسمع أبدا أن هناك من لا يود استقباله في المطار."

واستأذن السير شارل وخرج من الغرفة تاركاً زوجته مع ميراندا وما لبث أن عاد وهو يقول:

"ليس هناك خبر عنه في منزلكم. تحدثت الى الآنسة مايو وطلبت منها أن تتصل بالمسؤولين في المطار لتراجع قائمة المقبلين من بون اليوم. وستخطرنا خلال نصف ساعة."

وبالفعل اتصلت الآنسة مايو وأخطرتهم بأن اسمه ورد على الطائرة المقبلة من فرانكفورت التي تصل ظهرا.

بقيت ثلاث ساعات، بعدها ربما ينتهي زواجها. واستولى عليها التوتر... اذ قال لها ستتحدث، عندما أعود كما لو كان قد اتخذ قراراً.

وفي خضم أفكارها كادت لا تلحظ أن السير شارل نهض مزمجراً ليرد على التلفون الذي أخذ يرن رنيناً مستمراً مزعجاً، في حين كانت ليدي هيوبارد مستندة الى الوراء وعيناها مغلقتان وملامحها مسترخية. وفجأة سمعت انصفاق الباب عنيفاً ففتحت ليدي هيوبارد عينيها وسمعت خطوات مهرولة وظهر سير شارل وهو يلهث قائلا:

"الطائرة... لقد كانوا في المطار يتحدثون الى..."

فهبت ليدي هيوبارد واقفة:

"ماذا حدث ياشارل؟"

"هناك قنبلة في الطائرة."

١٣ - بداية الزواج

بالطبع، لقد كان كابوساً.

قبضت ميراندا على الاطار الخشبي لجوانب الكرسي بعنف حتى آذت يديها، عليها أن تستفيق، وأن تهرب من هذا الحلم المرعب الذي يهدد بضياع عقلها، وأغلقت عينيها، وبعد ذلك حدقت في السير شارل وهي تود أن تعرف الحقيقة وأن يستحيل قناع الرعب هذا المرتسم على وجهه الى تلك القسمات اللطيفة المألوفة التي تعرفها.

"لقد وجهوا اليهم تحذيرين. أحدهما في فرانكفورت بعد اقلاع الطائرة مباشرة، والثاني هنا، انهم.."

وبدت ليدي هيوبارد وكأنها تجمدت واستحالت حجراً، وأطل الرعب وعدم التصديق من عينيها وهمست:

"شارل، ماذا قلت؟ هل قلت..."

"لقد حولوا الطائرة الى البحر. حالة طوارىء كاملة. لكن التقرير الوارد من فرانكفورت قال ان جهاز التفجير مربوط بجهاز الهبوط. وستحدث الكارثة ان لم يحددوا مكانه في الوقت المناسب... لكن كيف سيهبطون اذن."

لم يكن هناك رد. وفجأة قفزت من مكانها وهي تقول:

"لا يمكن أن يكون هذا حقيقياً. انها خدعة. ان انساناً مجنوناً يمزح.." انهم دائما يخابرون شركات الطيران ليقولوا أن هناك قنبلة على طائرة، وثبت المرة تلو الأخرى أن

شخصاً هازلاً هو الذي فعل ذلك."

ورأت ليدي هيوبارد يدي ميراندا وهما تتحسسان الطريق واندفعت للأمام لتسندها، واضعة ذراعا قوية حول كتفيها وقالت:

"شارل احضر شرابا. أعتقد أنه سيغمى عليها... أسرع يا شارل."

وردت ميراندا وهي تناضل لاستعادة السيطرة على نفسها وهي تترنح للأمام:

"كلا، لن... أنا... أريد أن أذهب الى هناك. كيف أذهب الى هناك؟ لابد أن أذهب الى جاسون."

واشتدت صلابة الذراع القوية المحيطة بكتفيها وصاحبته تقول:

"تماسكي. أنا واثقة أنه سيتضح أنه انذار كاذب، والرعب لن يساعد جاسون يا عزيزتي."

وقادتها عبر باب الحديقة المفتوح ثم قالت لها:

"والآن أجلسي حتى ينتهي الأمر."

وعاد السير شارل فورا، تتبعه ماري التي بدت مذهولة وأعطى القدح لزوجته، التي مدتها الى شفتي ميراندا، وهي تقول:

"ارشفي يا عزيزتي، وبعد ذلك سنحاول أن نعرف ما حدث وسألت:"

"هل أحضر الراديو لنسمع الخبر؟"

فرد السير شارل وهو يهز رأسه:

"كلا، انهم لم يطلعوا الصحفيين على الخبر بعد. أعتقد أنه من الأفضل أن نذهب الى المطار."

لكن ماري ذهبت وما لبثت أن عادت ومعها راديو ترانزستور صغير. وكما قال السير شارل لم يذع الخبر. وبنفاذ صبر خفض صوت الراديو اتقاء للموسيقى الصاخبة المنبعثة منه.

وراقبت ليدي هيوبارد ميراندا في قلق، وتنهدت وهي ترى اللون الأحمر يبدأ في العودة الى خديها الأبيضين وقالت:

"أعتقد أن لديهم أجهزة لاكتشاف المتفجرات الآن، منذ أن بدأت عمليات الاختطاف تحدث في الطائرات."

فأجاب السير شارل وهو يذرع المكان:

"هذا ليس اختطافا انهم أرهابيون. وتلك رحلة طويلة المدى وفرانكفورت هي مكان توقف رئيسي لشركة الطرق الجوية الدولية البعيدة المدى لنذهب الى المطار ونرى..."

وقالت له ليدي هيوبارد والموسيقى المنبعثة من الراديو قد توقفت:

"اش.. ش. صمتا."

وأسرعت الى الراديو فرفعت صوته الذي انساب في الغرفة قائلا:

"جاءنا الآن خبر هام. فقد ورد تقرير توا عن أن قنبلة تهدد طائرة نفاثة تطير حاليا في طريقها من فرانكفورت الى هيثرو. اذ تمت خلال الساعة الماضية مكالمتان تليفونيتان تلقت الشرطة الالمانية احدهما وتلقت شرطة سكوتلانديارد الاخرى، وجاء فيهما أن قنبلة وضعت في الطائرة. والطائرة من طراز بوينغ ٧٠٧ تطير في رحلة عادية من الشرق الأقصى وتحمل ١٧٢ مسافرا وطاقمها منهم أربعة أطفال. ولم تذع أي تفاصيل حتى الآن، لكن السلطات لا تعتبر الأمر خدعة."

وورد تقرير آخر عن الموضوع سمعوه عبر راديو السيارة، لكنه لم يختلف الا قليلا عما سبق اذاعته، بل أضافوا المعلومات التي تلقاها شارل من قبل. واختتم المذيع كلامه قائلا، "من المعروف الآن أن الطائرة تم تأخير اقلاعها من فرانكفورت صباح هذا اليوم حيث تم اصلاح خلل فني بسيط. ويشك الخبراء في ادعاء الارهابيين انهم ربطوا معدات التفجير في جهاز الهبوط في الطائرة، ولكن من المعتقد أن المتفجرات هربت الى داخل الطائرة وأخفيت في مكان ما

لا يمكن التوصل اليه أثناء الطيران. وتجري الاتصالات من غرفة المراقبة في المطار الساحلي الجنوبي الشرقي، حيث يوجه المسؤولون ومن بينهم خبير عسكري في المتفجرات، البحث الذي يتم حاليا على الطائرة المهددة".

وبمجرد وصول السير شارل وليدي هيوبارد وميراندا الى المطار أحسوا بجو التوتر والمأساة. اذ أقيمت نقاط التفتيش في طرق الوصول، حيث أخذت الشرطة ترد الفضوليين والباحثين عن الاثارة وقدم السير شارل بطاقته الشخصية، وسمح لهم بالمرور، رغم حشد الصحفيين والمصورين ورجال التليفزيون والمسؤولين القلقين وأقرباء المسافرين على الطائرة. وكان المسؤولون يتهربون من الرد على الاسئلة فلا أحد يريد أن يورط نفسه، ولا أحد يريد أن يبعث آمالا زائفة ولا أحد لديه معلومات محددة. وفي ردهة انتظار المسافرين أقيمت على عجل شاشة لاذاعة الأنباء، وتم ادخالهم اليها لينتظروا ويراقبوا ويصلوا. وجاء شخص ما بصواني شاي وفناجين وزعت مجانا. وبدأت التقارير تظهر على الشاشة وكل منها يضيف معلومة صغيرة. وذكرت أربعة أسماء من بين المسافرين: رياضي شهير ودبلوماسي وميجور مارك شومان الذي كان عائدا من اقليم روكال ومعه زوجته وابنه وجاسون ستيل.

وأحست ميراندا برجفة وهي تسمع الأخبار، لكن لم يكن هناك معلومات أكثر من تلك وسأل شخص ما:

"لماذا لا تقولون لنا عما يفعلونه؟"

وساد الصمت في الغرفة المليئة بالاغراب الذين قربتهم معا الرابطة المشتركة من الخوف والتوتر. لكن سير شارل رد على السؤال بقوله:

"انهم لا يريدون اذاعة أي تفاصيل لأسباب تتعلق بالأمن."

وأومأت الرؤوس موافقة. ومر الوقت بطيئا. واقترب وقت الظهر، الساعة التي كان يفترض فيها النزول الآمن

للطائرة. وعندئذ بدأ خوف آخر. الوقود وعامل الوقت.

كم تستطيع الطائرة أن تبقى في السماء قبل أن ينفذ وقودها؟

كانت الأمة جمعاء تجلس الى التليفزيونات او الراديوهات وقلوبها وصلواتها مع الذين يصارعون القدر. وبدأت ميراندا تفقد الحس. لقد وصلت تقريبا الى مرحلة الرعب من صوت المذيع الذي لم يقل شيئا جديدا، فقط الحقائق نفسها التي يعرفونها عن ظهر قلب. وقال ان الاجراءات اتخذت لتحويل كل الرحلات الأخرى الى أماكن أخرى عندما تصل الطائرة. لكن متى؟ وفجأة أعلن المذيع:

"لقد تم العثور على القنبلة" وبدأ الجميع يتصايحون وأخذ البعض منهم يصرخ فيهم طالبا الصمت. وتركزت العيون والأعصاب على الشاشة وعلى المذيع الذي قال: "والآن وأخيرا، يمكن أن نطمئن الجميع على المائة وثلاثة وسبعين رجلا وامرأة وطفلا على الطائرة البوينغ ٧٠٧ التي كانت تجوب السماء فوق القناة منذ الساعة العاشرة وأربعين دقيقة صباح هذا اليوم والركاب والطاقم يقومون بالبحث عن القنبلة المخبأة في الطائرة، فقد تم اكتشافها، والآن سيقرر خبيرا المتفجرات اللذان يوجهان البحث، الخطوة التالية. ونأمل أن نوافيكم سريعا بالأنباء التي يصلي الجميع لها، عندما يزول الخطر وتهبط الطائرة في سلام".

ولفترة طويلة ساد الصمت الذي أعقب زفرات طويلة من القلوب. وعندئذ بدأت امرأة تبكي بحرقة.

ومال السير شارل على زوجته وميراندا وقال:

"تدرعا بالشجاعة، سأذهب وأحاول الحصول على مزيد من المعلومات. ومضوا بالفعل، وخالت ميراندا أن دهرا انقضى على ذهابه فنظرت في الساعة فوجدت أن أربع دقائق فحسب مضت، فانتظرت من جديد ثم نظرت الى الساعة فوجدت أن تسع دقائق مرت. أين السير شارل؟ لماذا لم يعد.

وصاح شخص ما·
"انظروا، لقد فقدوا الاتصال، ماذا يعني هذا·"
وظهر على الشاشة ما يلي: نأسف فقدنا الاتصال مؤقتاً مع غرفة المراقبة· نأمل أن نوافيكم بالأخبار حالا·"
وقالت ليدي هيوبارد:
"فقدو الاتصال مع غرفة المراقبة· لكن ذلك لا يعني أن غرفة الاتصال فقدت الاتصال بالطائرة·"
وقالت انها ستذهب لتفتش عن زوجها وأوصت ميراندا أن تعيد عليها ما تسمعه من أخبار أثناء غيابها· لكن ميراندا لم تكن تريد أن تظل وحدها، وأنقذها أن السير شارل عاد وهو يقول:
"كل شيء سيكون على ما يرام انها مقبلة الآن·"
وتدافع الجميع ليشاهدوا الطائرة، وهم لا يزالون خائفين· وسارعت عربات الطوارئ تتخذ مواقعها وأرهفت ميراندا سمعها وركزت بصرها على السماء·· وفجأة صاح شخص ما: ها هي· وتنهد الجميع فرحاً، وبدأت الطائرة تقترب، وميراندا تتلو صلاة محمومة·
لم يبد ضجيج النفاثات بمثل هذه الحلاوة والعذوبة من قبل والطائرة تهبط رويداً رويداً، ونزلت عجلاتها في يسر على الارض وبدأت تتقدم على الممر وتبطئ من سيرها ثم تقف· وساد الهرج والمرج، فالجميع يودون الوصول اليها، ويتصايحون، والمسؤولون والشرطة يكررون التعليمات والأوامر· وعندئذ نزل أول راكب·
ظهرت سيدة شابة أولا يسندها رجل طويل ومضيف· بدت السيدة شاحبة ومرهقة وتوقفت ونظرت خلفها حتى رأت مضيفاً ثانياً يحمل طفلها فأخذته منه فيما يشبه الاختطاف·
كانت ميراندا لاهية عن كل ما حولها مركزة حواسها على طابور المسافرين، ولاحظت ان جاسون لم يكن يتجه الى نقطة انهاء الاجراءات التقليدية وانما يتجه الى جانب آخر

محاطاً برجال الأمن واتجهت مذعورة الى السير شارل تسأله:
"ماذا يحدث، لماذا لا ···؟"
"ها هو جاسون·"
والتفتت في عنف الى حيث أشارت ليدي هيوبارد والدموع تنساب فياضة من عينيها· وصاحت وأخذت تلوح بيديها ليراها لكنه كان يتجادل مع رجال الأمن فلم يلحظها وقال لها السير شارل:
"أعتقد أن عليك التذرع بالصبر فترة أخرى قصيرة· فنحن لا نعرف بالدقة ما يحدث هناك· فلابد أن يكون هناك استجواب· فلا شك أنهم يحصلون على أقوال الجميع قبل أن يذهبوا وقد وصل العسكريون اذا لم أكن مخطئاً·"
وكانت كل استنتاجات السير شارل سليمة· وعندما حانت لحظة اللقاء كانت ميراندا قد بلغت ذروة الشوق، ومنعها وجود السير شارل وزوجته من أن تلقي بنفسها بين ذراعيه، واكتفت بان تقدمت خطوة للأمام منتظرة أن يحدد هو الخطوة التالية·
ونظر اليها وعيناه مملؤتان اجهاداً، وعلى فمه ابتسامة صغيرة غريبة ووضع يده على كتفها وقبل خدها قائلا:
"هيا بنا، فلنذهب من هنا·"
وتدخل السير شارل في الحديث قائلا:
"زوجتك معنا منذ صباح الأمس··· ومن ثم أعتقد انه عليكما تمضية بقية عطلة نهاية الاسبوع معنا حتى تشفيا من هذه التجربة المحطمة للاعصاب·"
ولم يعترض جاسون وشكره في أدب وغرق في الصمت وهو يركب السيارة· وقالت ليدي هيوبارد:
"حسنا ياجاسون لا تدعنا في حالة ترقب أكثر من هذا، وقل لنا ما حدث·"
وسأل سير شارل:
"من المسؤول·"
فرد جاك عابسا:

"الارهابيون كالعادة. لكن كان للمسألة طابع الانتقام الشخصي من المؤكد أن الميجور شومان كان هو الهدف الرئيسي، مع كل الرعب الذي كان سينجم عن ذلك لو نجح هذا الهجوم الذي استهدف بريطانيا بصفة عامة. ربما تتذكرون اننا وقعنا عقد ايجار جديد من ثلاث سنوات لاستخدام القاعدتين البحرية والجوية في روكال. ولسوء الحظ فان عناصر التخريب في الجزيرة أصبحت خطيرة بحيث اضطررنا الى أخذها بالشدة. وقد جرى ارسال الميجور شومان هناك كمسؤول للأمن. وأطلقت يده لاتخاذ أي خطوات يراها ضرورية. ومدى نجاحه يمكن الحكم عليه من جو السلم الذي يسود الجزيرة حالياً. ومع ذلك، لم يكف أعداؤنا. فقد تلقى تهديدات بالانتقام في ثلاث مناسبات، كان الأخير في شكل رسالة ناسفة وجهت الى زوجته، لكنها لحسن الحظ فحصت وأبطل مفعولها قبل أن تصل اليها، عندما كان هو...."

فقاطعه سير شارل سائلا:

"هل هو ذلك الرجل ذو الرأس الكبير. أعتقد أني أعرفه."

"نعم، هو، أنهى مهمته في روكال وكان في طريق العودة مع أسرته. وسأل سير شارل في لهفة:"

"ماذا كان رد فعلكم عندما أخبروكم عن القنبلة؟ هل أخطروا الركاب؟"

"كنا قد أقلعنا تواً من فرانكفورت. وفي البداية قالوا أن هناك خللا فنياً وأنه ليس هناك ما يخشى منه وأننا سنعود. ثم جاء الأعلان الثاني بأن هناك تغييرا في الاتجاه، وأنه ليس هناك ما يقلق. وبعد فترة لم يعلن شيء آخر ولم يستطع المضيفون أن يقولوا ماذا يحدث فبدأنا نتململ. خاصة الميجور شومان. وأخيرا لم يكن هنا مناص من اخطارنا لانه كان لابد من تفتيش الطائرة وكل من فيها. وتلك تجربة لا يتخيلها الا من مارسها. وبدأ أربعة منا تحت قيادة ميجور شومان الذي تولى القيادة تلقائياً ومهندس الطائرة في تنظيم

التفتيش، وقررنا ألا نخطر الركاب المضطربة أعصابهم عما نفتش عنه واخترعنا قصة عن سلاح مهرب وتهديد باختطاف الطائرة، وقد قبلوا هذه القصة بلا مناقشة، وجعل هذا الجميع مستعدين لتفتيشهم ولم تسفر المحاولة الأولى عن شيء فبدأنا نقلق بسبب التهديد بأن القنبلة في جهاز الانزال. لكن مهندس الطائرة أقسم أن هذا مستحيل وأكد أنه أشرف شخصياً على الاصلاح البسيط الذي تم في فرانكفورت وأدى الى تأخير الطائرة... لقد كانت السيدة شومان هي التي وجدتها."

"أين؟"

"مخبأة في عربة الطفل، ابن شومان، كانت هي الشيء الوحيد الذي لم نفتشه."

وأصبح وجه ليدي هيوبارد أبيض من الرعب وهي تتخيل ماذا كان سيحدث. وأحست ميراندا بالغثيان وهي تتصور الصدمة والكرب اللذين كان سيصيبان الأم وغمغمت:

"كم هذا بغيض."

"نعم لقد كان بغيضاً. وعندما وجدنا القنبلة كان قد بقي على موعد انفجارها سبع دقائق فحسب. سبع دقائق بيننا وبين الموت. وكان هذان الخبيران من الجيش وكانا يتصلان بنا من غرفة المراقبة وعلى الارض. وأبديا مهارة وخبرة في السبع دقائق، وصفا لنا القنبلة كما لو كانت أمام أعينهما وارشادانا الى طريقة ابطال مفعولها."

ولم يتحرك أي منهم من الصمت الذي تبع ذلك. وفجأة رن التليفون مما جعل ميراندا تقفز واقفة على قدميها. وسار السير شارل ليرد وما لبث أن قال جاسون:

"انها الصحافة ولا شك أنهم يعرفون أنك هنا. وربما كان من الأفضل أن ترد وتنتهي منهم وسار جاسون الى التليفون. ونظر السير شارل الى الساعة وأومأ لزوجته التي نهضت في أعقابه وهي تقول لميراندا أنها ستذهب للاشراف على

اعداد الغداء. وأغلقت الباب خلفهما بهدوء واستمر جاسون في حديثه التليفوني وهو يوليها ظهره. وجلست هي متصلبة في مقعدها غير مصدقة كيف أنه نسي وجودها تماماً وراودتها الرغبة في تهرع اليه وتنزع السماعة من يده وتجبره على أن ينظر اليها. لكنها أحست فجأة بالدوار والضعف وبالخدر ينتشر في أطرافها وشعرت أنه سيغمى عليها... ومع الخوف شعرت بعكس الأحاسيس التي انتابتها منذ لحظات. فقد طغت كرامتها على كل ما عداها وصممت ألا تجعل نفسها مثار سخرية. وقررت أن حنانه هو آخر شيء تريده وأخذت نفساً عميقاً، وصلت الى الله ألا يستدير حتى تصل بها رجلاها المرتعشتان الى الباب. وحدث هذا واستراحت في هواء الردهة البارد.لم يظهر أحد ووصلت الى حجرتها في الطابق الأول متقطعة الأنفاس وارتمت على أول كرسي. لم تكن تدرك ان رد فعل ساعات الاجهاد والتوتر بدأ فجأة وفتح الباب واستدارت لترى جاسون يقول:

"ماذا هناك؟"

وهمست في صوت خفيض:

"لا شيء"

ونظر الى وجهها الذي بدا أبيض كالعاج وسار اليها وأخذ يديها وبمجرد أن جسهما قال:

"انك كالثلج. لماذا لا تقولين؟ سأحضر لك شراباً ساخناً."

وخلع سترته ووضعها على كتفيها. فقالت:

"لا اريد أي شيء."

"لا اعتقد أنك في حالة تسمح لك بمعرفة ما تريدين."

وبدت رنة سخط في صوته، فهزت رأسها وهي تحس خدراً وتقول في يأس:

"لا أريد ضجة."

"ضجة، ما الأمر معك بحق الشيطان ياميراندا؟"

"ألا يمكنك أن تدعني لشأني؟ لم أطلب منك أن..."

وأمسكها من كتفيها وجعلها تقف على قدميها في مواجهته وهو يقول:

"ميراندا، هل ستدعين شبح ليسا يقف بيننا الى الأبد؟ ألا تستطيعين أن تنسي؟"

لم تستطع أن تتحمل المزيد فانسابت دموعها منتحبة فجذبها الى صدره وهو يقول:

"استمري، استمري في البكاء لتنتهي من كل هذا، وعندئذ ربما استطعنا أن نبدأ ونتحدث بعقل."

وواصلت البكاء حتى تمالكت نفسها وقالت:

"أنا آسفة.. لم أرد أن أبدو حمقاء.."

"لماذا حمقاء؟ ولم الأسف؟ الآن وبعد أن تخلصت من هذا التوتر ستشعرين أنك أفضل وربما تجيبين على سؤالي."

"أي سؤال؟"

"أنت تعرفين جيداً أي سؤال."

"كيف أستطيع؟ انك تحبها."

"أحبها! يا اله السماوات، أنا لا أحبها بل أحبك أنت."

لا يمكن أن يكون هناك خطأ في كلماته. انه من النوع الذي يزن كلماته جيداً أياً كانت الظروف وقالت له بصوت متهدج:

"انك لم تقل هذا أبداً."

"ألم أفعل؟ حسناً، أنا أقوله الآن."

كانت تود تصديقه من كل قلبها. لكن الاقتناع لم يؤاتها وقالت له:

"كيف تتوقع مني أن أصدقك؟ تزوجتني كرد فعل لاخفاقك... أنت نفسك اعترفت بهذا."

"ليس هذا حقيقياً تماماً ياميراندا. اننا جميعاً نقول أشياء ليست حقيقية كلها عندما نكون غاضبين، وكنت غاضباً للغاية في تلك الليلة. كنت غاضباً منك لأنك لم تصدقيني. وغاضباً من ليسا لأنها لم تدع الماضي يذهب. وقبل كل شيء كنت غاضباً من نفسي. لكن حتى حينئذ لم أكن مستعداً لأن

أكون أميناً مع مشاعري. والآن ساكون أميناً. لم أكن حقا أؤمن بنوع الحب الذي كنت تبحثين عنه. فكل المثل التي كنت أبحث عنها تحطمت في أوائل عمري. لقد صدمت في أول حب لي ولم أنس هذا أبداً، وكلما زادت تجاربي أدركت أن الحب الذي تبحثين عنه وهم وسراب، ربما لم أكن محظوظاً مع النساء، وكل من قابلتهن كن على الشاكلة نفسها. انهن يردن رجلا يرغبهن. ويشرعن فوراً في اثارة الرغبات الجسدية، ثم يبدأن في الصراخ عندما يأخذهن الرجل بقيمهن ومعاييرهن ويكتشفن أنهم أثرن وهما وليس حباً. ومن هنا يجيء تحطم القلوب. وعندما قابلت ليسا ظننتها مختلفة، ومرة أخرى كنت مخطئاً. ولذا فعندما قابلتك أدركت أنك مختلفة، لكني لم أدع نفسي أعتقد أن زواجنا يمكن أن يحقق في نهاية الأمر كل تلك القيم التي أوليتها ظهري، وهي القيم التي كنت تؤمنين بها بقوة. كنت أعرف أنك تحبينني وأنك مخلصة لي، لكني كنت أريد ثقتك أيضا."

"لماذا لم تقل لي كل هذا منذ وقت طويل مضى."

"لأني كنت مكابراً. لكني تعلمت في تلك الدقائق السبع عن الحياة وعن نفسي أكثر مما تعلمته في السبعة وثلاثين عاماً التي مضت من عمري."

"اعتقدت أنك لا تبالي. وعندما لم تتحدث الي في المطار الا فيما ندر... انك لم تضع حتى قناع الجاذبية."

"قناع الجاذبية! هل هذا هو ما تعتقدينه عني؟"

"لم أكن أعرف حتى أظنه فيك؟"

"كيف كنت أستطيع أن أقول هذا الكلام في ذلك الوقت، وتحت بصر الآف العيون. أنا آسف يا عزيزتي، ان أكون السبب في كل هذه المتاعب لك."

وقبل خدها وعينيها وأضاف:

"أنا أحبك، كيف أقنعك؟"

ولفت ذراعيها حول رقبته وتشبثت به تاركة اكسير

الحب يحدث سحره ويشعل حرارته وهي تغمغم:

"أوه يا جاسون."

"هل انتهى كل هذا. هل تتذكرين ليلة زفافنا كنت تعسة ولمتني، أليس كذلك؟"

"كلا، لمت نفسي."

"قلت لي ذلك حينذاك. بينما كنت ما تزالين غير واثقة في لكنك لا شك تعرفين الآن الجو الذي كنت أعيشه لتدركي أنك عندما هربت مني تلك الليلة جعلتني راغباً في الاستحواذ عليك بدرجة خشيت عاقبتها وكان علي أن ألزم نفسي بالصبر. وكنت أعرف من البداية أنه وراء مظهرك البارد تخفين كرماً فياضاً في الحب، للرجل المناسب. لكنك كنت طفلة في طريق الحب، والرجل المجرب لا يتوقع من الطفل أن يجري قبل أن يتعلم المشي لذا تراجعت، ضد رغباتي الأنانية؟"

"لأنك كنت واثقا أنك الرجل المناسب."

"هل تعتقدين اني كنت أهتم لو لم أكن أحبك بصورة أعمق حتى مما كنت أتصور أنا نفسي. كان علي أن أفكر في مفهومك المثالي عن الحب، وهو أنه في الحب يتعين على الانسان أن يفكر في سعادة الطرف الآخر قبل أن يفكر في سعادته هو."

"أردت أن أصدق أنك وقعت في حبي، لكني كنت أخاف أن أدع نفسي تصدق هذا، لخوفي من مشاعري تجاهك ومن سحرك الذي لا يقاوم لكنك كنت أمينا فيما يتعلق بالشيء العادي."

"أي شيء عادي؟"

"أنك تريد ان تحبني."

"آه يا حبيبتي الحمقاء. مهما كان الذي تعلمت أن تعتقديه عن الرجال ورغباتهم، فهناك جانب صغير عميت عنه، قولي لي، هل تستطيعين أن تسمحي لأي رجل أن يتملكك؟"

ونظرت اليه في رعب وملامحها تنطق بالاستنكار

العنيف، فأضاف:
"حسناً، ألا تعتقدين أن الرجل يحس بالمشاعر نفسها ومهما كان ما سمعته عن الرجال، فانهم قادرون على الأحساس بالحب في قلوبهم كما يحسون به في رغباتهم. واذا كنت تعتقدين أن هذا مستحيل، ألا تظنين أن هناك استثناءات وأن هذا الاستثناء هو أنا؟"
فضحكت وهي تقول:
"بالطبع. أنا آسفة ياجاسون."
"لم؟"
"لأني لم أثق بك. لان صبري نفذ ولم أنتظر نضج علاقتنا. لقد أفرطت في اللوم. ولم يكن لدي ثقة كافية. لقد عانيت من الشك والغيرة أرجوك أن تحبني وأن تصفح عني، لأني أحبك كثيرا."
فهمس لها:
"استمري في حبي."
وفي وسط هذا سمعا طرقا على الباب فتركها وهو يلعن ويقول:
"ادخل."
ففتحت ليدي هيوبارد الباب وهي تقول:
"أليس هناك من يريد طعاماً، قاربت الساعة الرابعة والمائدة معدة في غرفة الطعام، وفي غرفة الجلوس ثلاثة صحفيين. والآنسة مايو سألت عنك وما اذا كانت تبقى في المكتب"
فرد جاسون وهو يرفع يده الى جبهته:
"يا الهي، مسكينة مايو نسيت أني قلت لها أن تنتظرني في المكتب وأني سأحدثها وأنا في طريقي من المطار الى البيت
وأضافت ليدي هيوبارد:
"شارلي في المكتبة يتسلى مع المذياع، هل أقول أنكم ستنزلون خلال خمس دقائق."
فقال جاسون:

"كلا، أنتما ضيفانا اليوم."
وتراجعت وهي تقفل الباب في هدوء وهي تبتسم لميراندا.
وأغمض جاسون عينيه وهو يقول:
"لن يكون هناك مهرب اليوم. لكني أتساءل... أليس من الأفضل أن ننسل الى مكان هادىء ليلا."
"اذا أردت ياحبيبي، فكل ما يعنيني هو أن أكون حيث تكون."
وكان ذلك حقا وصدقاً. فكل دواعي الاطمئنان التي بحثت عنها طويلا موجودة هنا، بين ذراعيه وفي الحب الواضح في عينيه وفي الفرح البادي على وجهه. كان ذلك نهاية الحلم وبداية الواقع... كان ذلك هو زواجها.